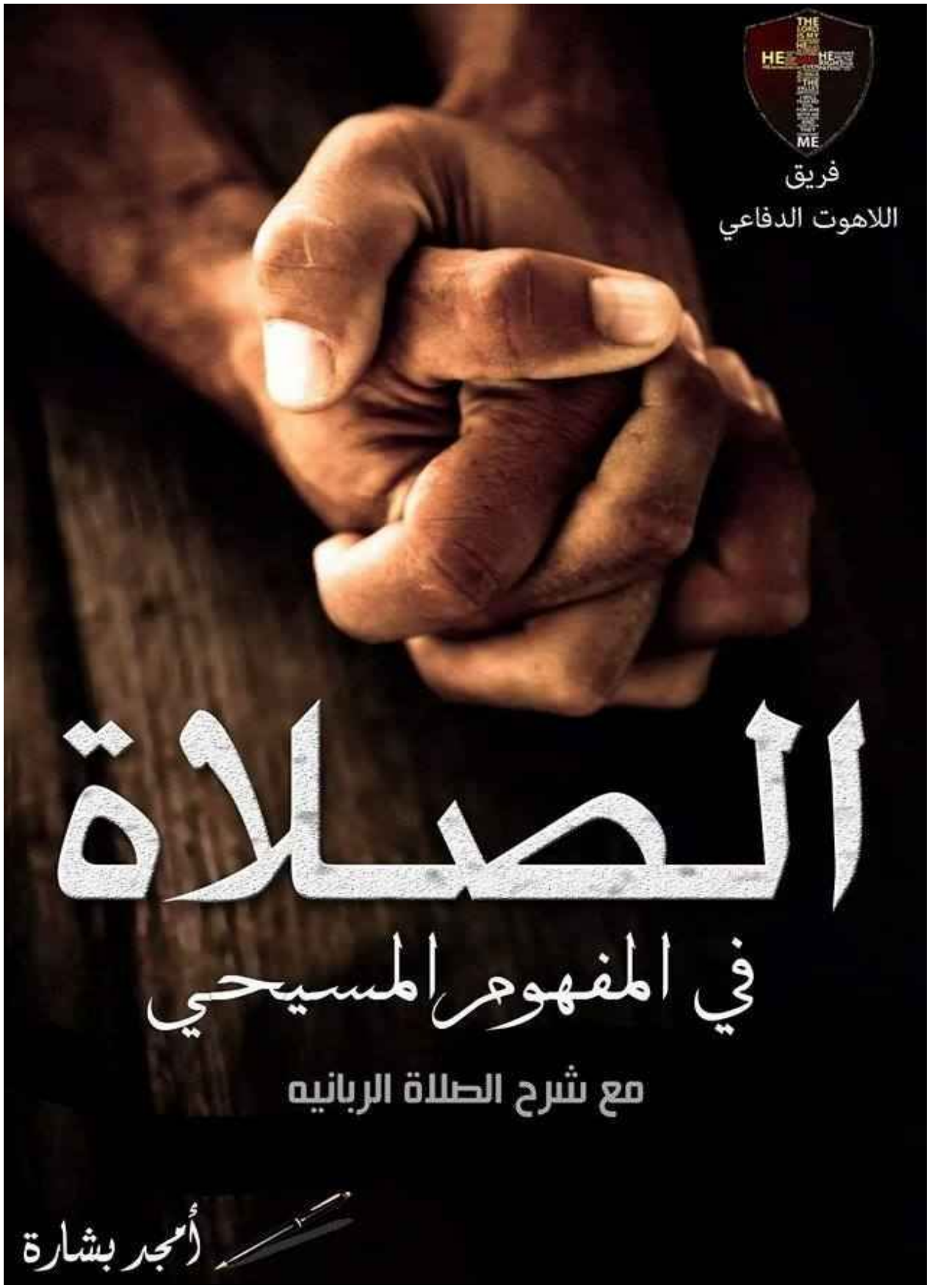
فريق
اللاهوت الدفاعي
الصلاة
في المفهوم المسيحي
مع شرح الصلاة الربانيه
أنجد بشارة

فريق اللاهوت الدفاعي

مدونة التقليد الارثوذكسي
Orthozoxtradition.blogspot.com

الصلاة في المفهوم المسيحي

مع شرح مُختصر للصلاة الربانية بحسب تعليم اباء الكنيسة

بقلم/ أمجد بشاره

الفـــــــــــــــــــــهرس

مقدمة ٤
ما هية الصلاة ٥
معونة وقوة الصلاة ٨
الصلاة لقاء ١٣
الصلاة عشق ١٥
الصلاة صعود لله بخوف ورعدة ١٧
الصلاة بفهم ١٩
الصلاة بالمزامير ٢٢
الصلاة ومعرفة الله وفهم الكتب المُقدسة ٢٥
صلاة المخدع وغلق باب الذهن والقلب ٣٠
الصلاة والتوبة ٣٣
الصلاة كل حين ٣٦
كيف أُصلي؟ وماذا أقول؟ ٤١
إن كان الله يعلم إحتياجاتنا فلماذا نُصلي ٤٣
هل الصلاة الموجهة إلي إقنوم واحد فقط
تنحرف عن التعليم القويم ٤٥
إستجابة الصلاة ٤٧
شرح مُختصر للصلاة الربانية ٥٣
مُلحقات
١- الصلاة، للقديس كيرلس السكندري ٦٣
٢- الصلاة إلي الروح القدس ٦٥
٣- كيف نُصلي، للقديس كبريانوس ٦٨
٤- قانون الصلاة للقديس ثيؤفان ٧٠
٥- الصلاة و النصرة، للاب تادرس يعقوب ٧٣
٦- الصلاة بوقار، لمارإسحق ٧٧
٧- الصلاة بالمزامير، للقديس اثناسيوس ٧٩
٨- الصلاة الدائمة، الاب تيتو كولياندر ٨٥
٩- الفرق بين الصلاة واليوغا ٨٧
١٠-شرح مثل قاضي الظلم، ليوحنا فم الذهب ٨٩
المراجع ٩١

مـــــــــــــــــــقدمة

لم يُصدر يسوع أمراً بالصلاة، بل قال: متي صليت. مُعتبراً أن هذا امر طبيعي في تلاميذه واولاده ممن يستفيدون بذبيحته ويقدمون حياتهم له كسكيب طيب ناردين خالص كثير الثمن (مر ١٤: ٣). أي أنها شئ طبيعي للمؤمن، فهي ليست فرض بل طبيعة كيان في الإنسان، فهي ليست طاعة ولا فقط لازمة للنمو الروحي.. بل هي جزء من الحياة الطبيعية للمؤمن كالتنفس، فالمؤمن لا يستطيع إلا أن يُصلي وبصلاته –بحسب تعبير احد الاباء– يحرك اليد التي تدير الكون و تضبطه.
فالشخص عديم الصلاة هو عديم النعمة مهما قال من شعارات.

والصلاة ليست عقيدة منهجية تخضع للبحث الاكاديمي وتُدرك بالعقل، بل هي عمل إيمان وشوق مُنطلق نحو الرب. فالصلاة إختبار وخبرة لا تعليم مُجرد. ومن هُنا تبرز صعوبة الكتابة عنها.
ففوق أنها حياة إختبارية للعلاقة مع الله التي تنمو بإستمرار، فهي تحتاج إلي شخص مستنير ممتلئ بالروح ومُختبر لهذه العلاقة في عمق ليتحدث عنها.
،ولذلك أردت في هذا الكتاب ان اوصل المفاهيم العامة نحو الصلاة مع نقل خبرة الاباء المقدسين بالصلاة كما عاينوها وسلموها لنا كخبرة حياة. مع الرد علي بعض التساؤلات العامة التي تجول في أذهاننا عن الصلاة.

راجياً من مراحم الرب أن يستخدم هذا العمل لمجد إسمه القدوس المُبارك في كل الارض، ثباتاً و بنياناً لابناء كنيسته الواحده الوحيدة المُقدسة الجامعة الرسولية، لاجل صلوات وطلبات أمنا العذراء مريم والدة الإله ويوحنا السابق الصابغ والشهيد والانبا انطونيوس اب الرهبنة والرسولي اثناسيوس حامي الإيمان وجميع مصاف القديسيين والشهداء والملائكة

ولله الآب الساكن النور الذي لا يُدني منه وللإبن الوحيد الواحد معه والمتشفع عنا بجسد مجده وللروح القدوس الناطق فينا بأنات لا يُنطق بها المجد والإكرام إلي ابد الابد. آمين

أمجد بشارة
١٠ / ٢٠١٤

ما هية الصلاة

الصلاة في الإيمان المسيحي ليست عمل نقدمه إلي الله لإرضائه، ولا طقس فرض نقوم به إبتغاء للهبات المُعطاة لنا خلاله او طمعاً في الحياة الابدية والنجاة من الدينونة.
إنما الصلاة هي حركة شوق داخلية في الإنسان للتلاقي مع وجه الابدية، لقاء مع شخص الله، فيه التعبير عن الحب والشكر وكل ما نشعر به كأنما نتحدث إلي أقرب قريب الله محبوب النفس [لأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِثْهُ كَالرَّبِّ إِلهنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟.. تث ٤: ٧]، [لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟» أَيْ لِيُحْدِرَ الْمَسِيحَ،٧أَوْ «مَنْ يَهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟» أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ... رو ١٠: ٦-٧]، فالله قريب منا بل في داخلنا يسكن القدوس ذاته [أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟.. لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ.. ١كو ٣: ١٦، ١٧]. ويعلق علي ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [البشر هم هياكل المسيح. فكما تُصنع بيوت الملوك بالذهب والأحجار الكريمة والمرمر، هكذا الصلاة تصنع هياكل المسيح. يقول الرسول بولس "*ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم*". وأى مدح تُمدح به الصلاة أعظم من أنها تصنع هياكل لله؟ هذا الذى لا تسعه السموات يأتى ويسكن فى النفس بالصلاة. " *السموات كرسيّ والأرض موطئ قدميّ. أين البيت الذى تبنون لى، هكذا قال الرب وأين مكان راحتى؟* " (إش٦٦:١)[1]. وايضاً القديس جيروم يقول: [فكروا في النفس القديسة كيف أنها أقدس من أن تُوصف. إنها تضم المسيح الذي ليست السماء متسعة لتحويه!... يتحرك فيها! فبالتأكيد هي بيت متسع، فيه يسير. قيل: "أنتم هيكل الله، والروح القدس يسكن فيكم" (راجع ١ كو ٣: ١٦). لنُعِد هيكلنا حتى يأتي المسيح، ويجد مسكنه فينا، وتصير نفوسنا صهيون، وتكون برجًا يُقام في الأعالي، فتكون دومًا إلى فوق وليس إلى أسفل٢]. والقديس باسيليوس الكبير ايضاً يقول: [الصلاة أيضًا بعد القراءة تنعش النفس وتثيرها بهمَّةٍ نحو حب الله. الصلاة صالحة، إذ تطبع فكرة واضحة عن الله في النفس، وبتذكُّر سكنى الله يقيم الله فيها. بهذا نصير هيكل الله، بتذكُّرنا الدائم الذي لا تفسده الاهتمامات الأرضيَّة٣].

لذلك فكثيراً ما أكد الاباء أن الصلاة الحقيقية هي إستجماع العقل والقلب والدخول بهما في عمق الذات، وهكذا قال ايضاً القديس انطونيوس إننا بمعرفتنا لأنفسنا نعرف الله و ما أخذنا منه[4]. فيقول: لأن من عرف نفسه عرف الله ومن عرف الله يستحق أن يعبده بالحق[5].

و الصلاة هي التأمل في الجمال، فعندما سأل القديس يوحنا الصليبى إحدى المعترفات قائلاً: "مما تتكون صلاتك؟" فأجابته، قائلة: "التأمل في جمال الله، وفي التهليل والفرح لأن له مثل هذا الجمال"[6]. هذه هى طبيعة العبادة. أن نصلى وأن نعبد هو أن نحس

---

[1] الصلاة، ترجمة د/سعيد حكيم، ص ١٤، ١٥

[2] On Ps. Hom. 46.

[3] Ep. 2: 4.

[4] لأنه إذا اقترب إنسان من النعمة فإن يسوع سيقول له " سوف لا أدعوكم عبيدًا، بل أدعوكم أصدقائى وإخوتى لأن كل الأشياء التى سمعتها من أبى أخبرتكم بها" (يو١٥:١٥) فإن كل الذين اقتربوا من النعمة وتعلّموا من الروح القدس قد عرفوا أنفسهم حسب جوهرهم العقلى. وفى معرفتهم لأنفسهم صرخوا قائلين " لأننا لم نأخذ روح العبودية للخوف ولكن روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب" (رو٨:١٥) حتى نعرف ماذا اعطانا الله " إذا كنا أبناء فإننا ورثة أيضًا، ورثة الله، ووارثون مع القديسين" (رو٨:١٧). (الرسالة الرابعة)

[5] الرسالة الرابعة

[6] E. Underhill, Worship, 5.

بالجمال الروحانى للملكوت السماوى؛ وأن نعبّر عن ذلك الجمال بواسطة الكلمات كما بالشعر والموسيقى، ومن خلال الفن والأعمال الرمزية، ومن خلال كل حياتنا؛ وبهذه الطريقة فإننا ننشر الجمال الإلهى في العالم حولنا، وهكذا نحوّل الخليقة الساقطة ونجعلها تتجلّى[٧].

ويصفها ماراسحق بأنها: فالصلاة تليق بالكمال، وهي استقامة الضمير، ووعظ الأنواع الحسنة، والحرية إلى الأمور المرتفعة، وهذيذ الروح وتذكار السمائيات والهمّ بالخفيات[٨].

و يقول ايضاً: الصلاة هي عمل مرتفع متعال على جميع الفضائل، وفضيلة أشرف من كل الأعمال. وليس منها أو بها تقتنى الصلاة، بل إن الصلاة تتولد عند الإنسان من أمور أخرى، والذي لم يقتن واجباتها لا تصدِّق أن له صلاة . فالصلاة هي ذكر الله الدائم الذي يكون في قلوب خائفيه، أعني بذكر الله شخوص النظر الفاضل الذي يكون في قلب الإنسان. فهذا العمل هو الذي يكمل لنا الصلاة، إذا كان منا بإفراز[٩].

ويقول القديس اغسطينوس: الصلاة هي بلوغ العقل المملوء حبًا إلى الله، إنها تشغل الذهن والقلب، الفكر والرغبة، المعرفة والحب. الحياة الكاملة للمسيحي الصالح هي رغبة مقدسة[١٠].

ويقول الاب ثيؤفان الناسك: الصلاة هي وسيلة الأخذ، و هي اليد التي نستلم بها كل البركات الموهوبة لنا بغني من حب الله و صلاحه كما من مصدر لا ينفذ[١١].

فالصلاة ليست مجرد كلمات نرددها او خُطب رنانة، بل الصلاة هي تعبير إرداي عن شوق اللقاء مع الله والدخول في حالة الابدية والإتحاد به، وبهذا فليس المهم فيها حجم الكلمات وبلاغتها وعددها، بل المهم ان تكون بسيطه صادرة بنقاء من داخل القلب.
فيقول القديس باسيليوس: [الصلاة هى سؤال ما هو صالح، ويقدمها الأتقياء إلى الله. ولكننا لا نحصر هذه "الصلاة" فقط فى حدود ما نذكره بالكلمات.. فلا ينبغى أن نعبّر عن صلاتنا بواسطة مقاطع الكلام فقط، بل ينبغى أن يُعبّر عنها بالموقف الأخلاقى والروحى لنفسنا، وبالأعمال الفاضلة التى تمتد خلال حياتنا كلها.. هذه هى الطريقة التى تصلى بها بلا انقطاع ــ ليس بأن تقدم الصلاة بالكلام، بل بأن توحد نفسك بالله خلال كل مسيرتك فى الحياة، حتى تصير حياتك صلاة واحدة متواصلة وبلا توقف][١٢].
و يقول ايضاً: لا يحتاج الله إلى خُطب رنَّانة، ولا إلى كلمات فصيحة، إذ يعرف ما هو مفيد لنا. وهكذا يمكننا أن نحدِّد الصلاة بأنها عمل يتم في ضمير الإنسان وفي داخله، وهي عمل يمتد إلى كل الأعمال التي تنسج حياة الإنسان[١٣].
يقول القديس اغسطينوس: لقد نهانا ربَّنا عن كثرة الكلام، حتى لا تقدَّم له كلمات كثيرة كما لو كنَّا نعلمه بكلامنا. لذلك لا تحتاجون في الصلاة إلى الكلام، بل إلى التقوى. "لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" (مت ٦: ٨)، ولئلاً يشك أحد فيقول: إن كان الله يعلم ما نحتاج

---

[٧] الاب كاليستوس وير، العباده الارثوذكسيه، ص ١٩
[٨] الميمر ١: ٣٩
[٩] الميمر٢: ١٤
[10] Tr. on 1 John 4:6.
[١١] المحاربات الروحيه ٣: ٤٦
[12] Homily on the Martyr Julitta 3-4 (P.G. 31: 244A, 244D).
[١٣] عظة ٥.

إليه فما الداعي إلى الصلاة سواء كانت بكلمات كثيرة أو قليلة؟! نعم إنه يعلم كل ما نحتاج إليه، ولكنَّه يريدكم أن تصلُّوا حتى يهبكم حسب اشتياقكم، فلا تستخفُّوا بعطاياه، ناظرين إلى أنه قد وضع فينا هذه الصلاة لتكون أساسًا ونموذجًا لاشتياقاتنا، فلا نطلب شيئًا غير ما ورد فيها.

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم: بداية نقول إن الصلاة هى حقيقة أساسية، بحيث إن كل من يصلى فهو يتحدث مع الله . فأنت تتحدث مع الله على الرغم من أنك إنسان فانٍ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك .
لكن أن يتقدم أحد إلى هذه الكرامة بالكلام فقط ، فهذا أمر غير مقبول لأن هذه الكرامة تسمو عظمة الملائكة . هذا الأمر يدركه الملائكة أنفسهم . يظهر الملائكة فى نصوص الأنبياء وهم يقدمون تسابيحهم وصلواتهم إلى السيد الرب بخوف ورعدة، مغطين وجوههم وأرجلهم بورع ومخافة وهم يطيرون بغير أن يبقوا فى سكون .
هكذا يعلموننا أن ننسى طبيعتنا الإنسانية الفانية وقت الصلاة، وننحصر فى الغيرة المقدسة ومخافة الله، غير مهتمين بالأمور الحاضرة[١٤].

والصلاة ايضاً أهم ما يميزها أنها ذبيحة كما اسماها الرسول بولس:[فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.. رو ١٢: ١]، ففي الصلاة اقدم ذاتي ذبيحة لله –ليس ذبيحة بأن اتلاشي انا و اكون بلا قيمة– بل الحمد والشكر والتسبيح والتمجيد الذي يُقدم بفهم و ذهن حاضر و إحساس كياني وتذوق لكل كلمة تخرج من الفم موجهة إلي الله هي بالنسبة إليه كذبيحة مقدمه له يستأنس بها الله ويتلذذ ويقبلها ويُنميها. فالذبائح الدموية لا ترضي الله ولا هي حسب مشيئته بل فقط وضعها الله من اجل ان يتذكره الشعب دائماً وأيضاً يتذكرون انهم في حاجة إلي الخلاص من الخطيه، وليعرفوا ان هذه الذبائح و الافعال البشرية لا تنفع الإنسان شيئاً وإننا نحتاج إلي تدخل إلهي في حياتنا بل إلي اعماق النفس، وهذا ما أعلنه الوحي بطول الكتاب المقدس..
+ "ذابح الحمد يمجدني" (مز ٥٠: ٢٣)
+"أسبح اسم الله بتسبيح، وأعظمه بحمدٍ، فيُستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف" (مز ٦٩: ٣٠-٣١)
+"لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ. ١٥فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ."(عب ١٣: ١٤– ١٥)

و الصلاة ايضاً هي سكيب للنفس أمام الله، في الصلاة آتي وأسكب نفسي في يدي الله، حالة من الاشتياق للدخول في شركة فيه، والإحساس بإنسداد كل الطرق وضعفها وطلبه وحده.
أعتقد هذا ما كان يشعر به كاتب المُرنم حين قال:[بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ. بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَتَضَرَّعُ. ٢أَسْكُبُ أَمَامَهُ شَكْوَايَ. بِضِيقِي قُدَّامَهُ أُخْبِرُ. ٣عِنْدَ مَا أَعْيَتْ رُوحِي فِيَّ.. مز ١٤٢: ١– ٣]، وما أختبرته ايضاً حنه ام صموئيل: [إِنِّي امْرَأَةٌ حَزِينَةُ الرُّوحِ وَلَمْ أَشْرَبْ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً، بَلْ أَسْكُبُ نَفْسِي أَمَامَ الرَّبِّ.. ١صم ١: ١٥]، فنأتي إلي الله مُحملين بأثقال كثيرة من خطايا وضيقات وتجارب يمر بها الاحباء وضعفات الجسد، وآتي لاسكب ذاتي بكل ما أحمل امام الله علي مذبح الصلاة طالباً أخذ القوة التي غلبت العالم والتي ترفعني بدورها فوق ضيق العالم، لا ان لا ادخل في الضيق بل ان املك القوة الإلهيه علي تحمل الضيق بصبر وثقة ورجاء وإرادة علي عبور الضيق.

[١٤] الصلاة، ترجمة د/ سعيد حكيم، ص ٨، ٩

معونة و قوة الصلاة

+ليس أحد يعينه الله ما لم يصنع هو شيئًا. إنه سيُعان إن صلي[١٥].
+الأثر الكامل للإيمان هو هذا: يجعلنا نسأل فنأخذ، نطلب فنجد، نقرع فيُفتح لنا. بينما الإنسان الذي يجادل يغلق باب رحمة الله أمام نفسه[١٦].
+خلقتنا لك يا رب، ولن تستقر قلوبنا حتى تستريح فيك[١٧].
+"تقول للرب: ملجأي وحصني إلهي، فأتكل عليه" (مز ٩١:٢).
من الذي يقول هكذا للرب؟ "الساكن في ستر العلي"، وليس في ستره هو. من هو هذا الذي يسكن في ستر العلي؟ ذاك الذي لا يتكبر مثل هذين اللذين أكلا (من شجرة معرفة الخير والشر) ليصيرا إلهين، ففقدا خلودهما الذي خُلقا عليه. لقد اختارا أن يسكنا في سترهما، لا في ستر العلي. هكذا أنصتا إلى مشورة الحية (تك ٣:٥)، واستخفا بوصية الله، وأخيرًا اكتشفا أن ما هدد به الله تحقق فيهما وليس وعد الشيطان لهما. لذلك لتقل أنت أيضًا: "عليه أتكل، فهو ينجيني، ولست أنا أنجي نفسي[١٨].
القديس اغسطينوس

يقول القديس إفراهاط السرياني: تبعث نقاوة القلب صلاة أقوى من كل الصلوات التي تُتلى بصوتٍ عالٍ. فالصمت مع العقل الأصيل أفضل من الصوت العالي لمن يصرخ.
أعطني يا عزيزي الآن قلبك وفهمك واسمع عن قوَّة الصلاة النقيَّة، وكيف أن آباءنا القدِّيسين اجتهدوا في صلاتهم أمام الله وكيف قدَّموها كتقدمة طاهرة (مل ١: ١١). فبالصلاة قُبلت التقدمات.
الصلاة هي التي نجَّت نوح من الطوفان.
الصلاة تكسي عرينا.
الصلاة تهزم الجيوش.
الصلاة تعلن الأسرار.
الصلاة تشقّ البحر.
الصلاة شقَّت طريقًا عبر الأردن.
الصلاة أوقفت الشمس فلم تغرب.
الصلاة جعلت القمر يقف.

---

[15] On Man's Perfection in Righteousness 20:43.
[16] On Man's Perfection in Righteousness 20:40.
[17] Confession 1:1:1.
[18] On P.s 91 (90).

الصلاة حطمت الخطيَّة.
الصلاة أطفأت النار.
الصلاة أغلقت السماء.
الصلاة رفعت من الحفرة وأنقذت من النار والبحر.
قوَّة الصلاة عظيمة جدًا مثل قوَّة الصوم النقي. وكما شرحت وقلت لكم في المقال السابق عن الصوم لا أمل عن أن أتكلَّم معكم هنا عن الصلاة[١٩].
و يكمل قائلاً: والآن يا عزيزي اسمع عن هذه الصلاة الطاهرة، وما تحمله من قوةٍ واضحة فيها. عندما صلَّى إبراهيم أعاد الذين أسرهم الملوك الخمسة (تك ١٤: ١٦). كذلك صلاته جعلت العاقر تلد (تك ٢١: ٢). وأيضًا بقوَّة صلاته استحق الوعد بأن من نسله تتبارك كل الأمم (تك ٢٢: ١٨). واسحق أيضًا أوضح قوَّة الصلاة عندما صلَّى عن رفقة فأنجبت أولادًا (تك ٢٥: ٢١). وصلَّى من أجل أبيمالك فأوقف الغضب الإلهي عنه (تك ٢٥: ٢١)[٢٠].
و يقول ايضاً: ماذا نقول عن القدرة غير المحدَّدة لصلوات موسى؟
بصلاته أُنقذ من أيدي فرعون.
وترآى الله له في الشكيناه[٢١].
بصلاته أتت العشرة ضربات على فرعون (خر ٧-١١).
بصلاته انشقَّ البحر (خر ١٤: ٢١).
بصلاته صار الماء المرء ماء عذبًا.
بصلاته نزل المن، وأعطيت السلوى خر١٦-١٧).
بصلاته انشقت الصخرة وخرج منها الماء (خر ١٧: ٨-١٣)،
هزمت عماليق وأعطت قوَّة ليشوع (عد ٢١: ٢١-٣٥).
اقتلعت عوج وسيحون في الحرب (عد ١٦: ٣١).
أنزلت الأشرار إلى الهاويَّة (عد ١٦: ٤٧-٥٠).
رفعت غضب الله عن شعبه،
سحقت عجل الخطيَّة (خر ٣٢: ٢٠).
جلبت لوحي الحجر من الجبل، وجعلت وجه موسى يلمع (خر٣٤: ٢٩).
كانت صلاته أقوى من صلاة يعقوب ويشوع ابن نون عندما اِرتفعت صلاته أمام الله شقَّت نهر الأردن أمامه (يش ٦). وهدمت أسوار أريحا، واقتلعت عاخان (يش ٧).
صلاته أرجعت الشمس وجعلت القمر ثابتا (يش ١٠: ١٢)، ممَّا هزم الملوك وأخضع الأرض (يش ١٢) وأعطاها للإسرائيليِّين ميراثًا[٢٢].

و يقول ايضاً: دعنا الآن نأتي إلى الصلاة الصامتة، صلاة حنَّة أم صموئيل. كيف صارت موضع سرور الله، وفتحت رحمها العاقر، ونزعت عارها، وولدت نذيرًا أو كاهنًا (١صم ١). وصموئيل أيضًا عندما صلَّى أمام إلهه، وأظهر شرّ الإسرائيليِّين، عندما طلبوا ملكًا. قدَّم صموئيل ذبيحة كاملة على المذبح (١ صم ١٢: ١٧-١٨)، ونزل المطر...
صلَّى داود أيضًا أمام إلهه وأنقذ من أيدى شاول. وأيضًا صلَّى بعدما أحصى الشعب وحوَّل عنهم الغضب والعقاب الإلهي عندما نال المهلك سلطانًا عليهم (٢ صم ٢٤: ١٧).

---

[19] Demonstrations, 4:1 (On Prayer).
[20] Demonstrations, 4:4 (On Prayer).
[٢١] لم ترد هذه الكلمة في الكتاب المقدس، لكن يستخدمها اليهود كما المسيحيون عن سكنى الله بين الكاروبين على غطاء تابوت العهد.
[22] Demonstrations, 4:7 (On Prayer).

آسا أيضًا صلَّى وأظهرت صلاته قوَّة عظيمة، عندما خرج إليه زارح الكوشى بجيش قوامه مليونًا ضده. عندئذ صلَّى آسا وقال: "ستُعرف قوَّتك يا إلهنا عندما تبيد شعبًا ضخمًا بشعبٍ قليلٍ" (٢ أي ١٤: ١٢-١٥). وهكذا هتزم هذا الجيش الكبير بقوَّة صلاة آسا.
ابنه يهوشافاط حطَّم جيش الأعداء بصلاته التي هزمتهم (٢ أي ٢٠: ٣-٣٠).
حزقيا أيضًا صلَّى وبصلاته تغلَّب على ١٨٥٠٠٠ رجلاً حيث عمل الملاك كقائدٍ لجيشه (١ مل ١٩: ١٥، ٣٥).
صلَّى يونان أمام إلهه من أعماق البحر وسمعه الله (يون٢)، واستجاب صلاته، وأنقذ بدون أيَّة أذيَّة. اخترقت صلاته الأعماق، وهزمت الأمواج، وكانت أقوى من العاصفة. لقد اخترقت الغيوم، وطارت في الهواء (سيراخ ٣٥: ١٧)، فتَحت السماوات وقربت من عرش العظمة بواسطة جبرائيل الذي يقدِّم الصلاة أمام الله. كنتيجة لذلك لفظت الأعماق النبي، وأوصل الحوت يونان بأمان على البر. كذلك في حالة حنانيا وعزاريا وميصائيل، هزمت صلواتهم اللهيب، وخمدت قوَّة النيران، وغيَّرت من طبيعتها الحارقة. لقد أطفأت حنق الملك، وأنقذت الرجال الأبرار (دا ٣)[٢٣].
هكذا استخدم كل واحدٍ من آبائنا الأبرار سلاح الصلاة عندما كانت تقابله المحن، وبهذه كان يُنقذ من المحن[٢٤].

ويقول العلامة ترتليان: فهي (الصلاة) لا تعرف إلاَّ أن تحول الضعفاء إلى القوة، وتشفي المرضى، وتحل المقيدين بالأرواح الشريرة، وتفتح قضبان السجون، وتفك قيود الأبرار. كما أنها تَغسل العيوب وتُثبط التجارب، وتُطفئ نيران الاضطهاد، وتُعزي النفوس الخائرة، وتُشجع المطروحين، وتُرشد المسافرين، تُهدئ الأمواج، وتُرهب اللصوص، وتُنعش المساكين، وتَضبط الأغنياء.
الصلاة تُقيم الهابطين، وتُخلص الساقطين، وتُثبت الواقفين.
الصلاة هي سور الإيمان. فهي تُسلحنا وتطلق سهامًا تجاه العدو المتربِّص لنا من كل ناحية. فلن نكون عزَّل. في النهار نكون واعين بواجبنا، وفى الليل بسهرنا. وإذ نحمل سلاح الصلاة نحرس لواء قائدنا. وننتظر مصلين لبوق رئيس الملائكة.
فما حاجتنا بعد إلاَّ إلى الصلاة؟ فالرب يسوع نفسه كان يصلي له المجد والكرامة من دور فدور[٢٥].

يقول العلامة اوريجينوس: النفوس التي بقيت مجدبة (عقيمة كحنة أم صموئيل) إلى زمان طويل، إذ تدرك عقم عقلها وجدب فكرها تحبل بالروح القدس، وتلد كلمات خلاصية مملوءة بمفاهيم الحق، وذلك بالمثابرة بالصلاة[٢٦].

ويقول مارإسحق: خدمة المزامير، والصلاة الربانية لأبينا السماوي، وصلاة التلاوة التي يرتجلها الإنسان ويطلب بها الرحمة والعون والخلاص، هذه الثلاثة مثل ثلاثة سهام بها تطعن الشياطين وتقتلهم[٢٧].

---

[23] Demonstrations, 4:8 (On Prayer).
[24] Demonstrations, 4:9 (On Prayer).
[25] On Prayer, 29.
[26] On Prayer 13:3.

[٢٧] جزء ١، ميمر ٥

ويقول القديس يوحنا سابا: بالصلاة يختلط العقل بالله، بها يفتح كنوز الله ويقسم ذخائره. بها يستحق نظر مجد الله، ويكون في غمام نور عظمته داخل بلدة الروحانيين. بها يكون الإنسان مسكنًا لله. بها تتحد النفس بالمسيح، وبها تنظر إشراق مجد عظمته. بها تتقد في النفس نار محبة المسيح ويحترق القلب بالشهوة في الله، تلك الشهوة التي تحرق جميع شهوات الأعضاء. بها تبتهج النفس بالحب وتخرج من رتبتها، وينقلع العالم من قلبها[٢٨].

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم: الأمر الذى لا يجهله أحد هو أن الصلاة هى سبب كل الخيرات وهى مرشد للخلاص والحياة الأبدية [٢٩].

ويقول ايضاً: أى شئ أكثر برًا من حديث الإنسان مع الله؟
أى أمر أكثر بهاء؟ أى شئ أكثر حكمة؟
فلو أن أولئك الذين يتحدثون مع أناس حكماء سيصلون بالحديث المستمر معهم إلى التشبه بهم فى أسلوب التفكير، فماذا نقول عن أولئك الذين يلهجون بالصلاة لله (دون انقطاع)؟ ألا تملأهم الصلاة من كل حكمة وكل فضيلة وكل فهم وكل عفة ووداعة .
هكذا لا نكون مخطئين إن قلنا إن الصلاة هى بداية كل فضيلة وكل قداسة، ولا يستطيع شئ أكثر من الصلاة والتضرع أن يقود النفس الخالية من النعمة، إلى التقوى والورع، فالمدينة غير المحصنة بأسوار، من السهل جدًا أن تقع فى أيدى الأعداء. هكذا أيضًا فإن النفس غير المحاطة بأسوار الصلاة من السهل أن يسود عليها الشيطان ويملأها بكل خطية. فهو عندما يرى النفس محتمية بالصلوات وقوية فإنه لن يتجرأ على الاقتراب منها، لأنه يهرب من قوتها وثباتها . فالصلوات هى التى تمنحها هذه القوة، وهى التى تغذى النفس أكثر مما يغذى الخبز الجسد[٣٠] .

ويكمل قائلاً: فالجسد بواسطة الأعصاب يتشدد ويتقوى ويجرى ويقف ويحيا، فإذا قُطع أحد هذه الأعصاب يفقد الجسد إتزانه. وهكذا فإن النفوس تكتسب بالصلوات المقدسة، نعمة وتميزًا واتزانًا، وتركض بسهولة فى طريق الفضيلة. فإن حرمت نفسك من الصلاة، فكأنك تطرح سمكة خارج الماء. فكما أن الماء هو سبب حياة للسمكة، هكذا الصلاة بالنسبة لنفسك. بالصلاة تستطيع أن تسمو عاليًا وأن تجتاز إلى السموات وأن تعيش بالقرب من الله.
يكفى ما قلناه لكى ندلل على قوة الصلاة المقدسة. لكن من الأفضل مادمنا نتكلم من الكتاب المقدس ، أن نعرف من فم المسيح مقدار النعمة التى نحصل عليه بالصلاة ، كل من يريد أن يعيش كل حياته فى الصلاة .
يقول الإنجيل " وقال لهم أيضًا مثلاً فى أنه ينبغى أن يُصلى كل حين ولا يُمل " (لو١٨: ١ــ٨)[٣١].

و يقول ايضاً: حينما نصلى فإننا نتكلم مع الله آخذين طبيعة الملائكة وبهذا يتضح أننا نختلف كثيرًا عن الحيوانات غير العاقلة.
فإن كانت الصلاة هى عمل الملائكة إلا أن الصلاة فى ذاتها هى أعظم من الملائكة. إن حديثنا مع الله هو عمل يفوق عمل الملائكة: وكون الصلاة هو أمر يفوق الملائكة[٣٢]

[٢٨] القمص بفنوتيوس السرياني ٣٥، ٣٦.
[٢٩] الصلاة، ترجمة د/ سعيد حكيم، ص ٨
[٣٠] مرجع سابق ص ٩
[٣١] المرجع السابق ص ١٠
[٣٢] المرجع السابق ص ١٧

و يقول ماراسحق: اعلم، يا أخي، أن أفضل كل صلاح يفعله الإنسان في هذا العالم هو الصلاة الطاهرة[٣٣].

و يقول الاب تيتو كوليااندر: أن الصلاة هى سلاحك الأول والوسيلة التى لا يمكن أن تُقارن فى أهميتها بأى وسيلة اخرى فى الجهاد، تعلم أن تصلى، وبذلك تغلب كل قوات الشر التى يمكن أن تهاجمك[٣٤].
ويكمل قائلاً: الصلاة هى أساس العالم، هكذا يقول القديس يوحنا الدرجى. وقديس آخر شبه الكون بتجويف عميق توجد فيه كنيسة المسيح، ولكن ما يضم الكنيسة معًا ويحفظ تماسكها هو الصلاة. الصلاة هى حديث البشرية ولقاؤها مع الله. الصلاة هى القنطرة التى يعبر بها الإنسان من ذاته الجسدانية بكل إغراءاتها ليدخل فى المجال الروحانى، بكل حريته. إنها سياج دفاع ضد الاضطرابات، سلاح ضد الشك، إنها تميت الأوجاع وتلجم الغضب. الصلاة هى غذاء للروح ونور العقل، وهى تحمل فى الحاضر فرح الدهر الآتى. الصلاة ــ لمن يصلى بالحق ــ هى الحكم وهى المحكمة وهى كرسى الدينونة بدون انتظار مجئ الدينونة الأخيرة، بل هى محكمة حاضرة الآن فى داخل القلب[٣٥].

ويقول القديس ثيؤفان الناسك: بالصلاة نضع سيف المعركة في يد الله ليحارب اعدائنا ويغلبهم طوال محاربتنا الروحيه. و لكي تُظهرَ الصلاة ملء قوتها فيك، اجعلها كتلة ملازمة طبيعيه لروحك، و يجب ان تحميها و تُنهضها فيك بإستمرار[٣٦].

ويقول القديس باسيليوس: الصلاة أيضًا بعد القراءة تنعش النفس وتثيرها بهمَّةٍ نحو حب الله. الصلاة صالحة، إذ تطبع فكرة واضحة عن الله في النفس، وبتذكُّر سكنى الله يقيم الله فيها. بهذا نصير هيكل الله، بتذكُّرنا الدائم الذي لا تفسده الاهتمامات الأرضيَّة[٣٧].

ويقول القديس يوحنا الديلاتي: من ذاق حلاوة المسيح يُرغب نفسه في الإستئناس بالصلاة. فهي أعظم من كل الأعمال التي تُقرب من الله. بواسطتها يختلط الذهن بالله ويصبح شبه صانعه ومستودع عطاياه وينبوع اسراره. وبها يفتح باب كنوز الله ويصبح أمينه ويقسم ذخائره. وبها يُجعل الذهن جديراً بأن يري مجد الله في غمامة ور عظمته داخل بلد الكائنات الروحانية، بعجب و صمت أوقفهما الدهش عن كل حركة. وينذهل من جمال أشعة النور الوفيرة الإشراقات التي تطلع عليه فترمي العالم في العجب من رؤيتها، و هي حياة الكائنات الروحانية و تنعمها فتسكت حركاتها النارية بجمال عظمتها. تلك التطويبات التي لا توصف تُعطيَّ للذين يُمارسون الصلاة[٣٨].

---

[٣٣] ميمر٥: ١٣
[٣٤] طريق النساك، ٥٨
[٣٥] المرجع السابق، ٥٩
[٣٦] المحاربات الروحيه ٣: ٤٦
[37] Ep. 2: 4.
[٣٨] ميمر ١٤: ١– ٢

الصلاة لقاء

الصلاة هي رغبة عارمة في ملاقاة يسوع، رغبة تستولي علي النفس وتشعل فيها شوقاً يتأجج في كل حين، ويزداد هذا الشوق حينما تُصلي[٣٩]، فالصلاة لا تجعل شوقنا للتلاقي مع الله يخبو، بل علي العكس فهي تزيده إشتعالاً وتوهجاً داخل النفس كما بنار.
هذا هو عمل الروح الإلهي الناري حينما يدخل النفس يوهجها بناره الإلهية المنيرة لا الحارقة ويطعم النفس بحضوره بملء النعمة لان الروح لا يأتي بمقياس ولا يُعطي بمكيال.

وهذا اللقاء في أحضان الثالوث، أي حينما يُدخلنا الروح القدس في بنوية الإبن وهي الدالة التي بها نصعد إلي قدس الاقداس أمام الآب، هذا لقاء لا تتشبع منه النفس ولا تمتلئ ولا تمل ولا تشبع، بل دائماً تطلب الازدياد منه وكلما تذوقة النفس حلاوة عشرة الثالوث طلبت الدخول في العمق أكثر والجلوس معه أكثر وأزدادت محبة الرب أكثر في داخلها. وهذا ما أشعل مرنم المزامير فتهلل قائلا:[ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!.. مز ٣٤: ٨]

يقول الاب كاليستوس وير[٤٠]: أن تمثُل أمام الله: هذا يعنى ضمنًا أن العبادة هى لقاء، هى اجتماع بين أشخاص. الهدف من العبادة ليس مجرد إثارة عواطف أو تحقيق مواقف أخلاقية لائقة، بل الهدف هو الدخول في علاقة مباشرة وشخصية مع الله الثالوث القدوس، " كصديق يتحدث مع صديقه، نحن نتكلم مع الله، وبدالة نقف أمام وجه ذاك الذى يسكن في نور لا يدنى منه ". هذا ما كتبه القديس سمعان اللاهوتى الحديث[٤١]. يشير القديس سمعان هنا باختصار إلى قطبين للعبادة المسيحية، وهما الوجهان المتعارضان لهذه العلاقة الشخصية: فالله " يسكن في نور لا يدنى منه" ومع ذلك فنحن البشر نستطيع أن نقترب منه "بدالة" وأن نتحدث معه "كصديق يتكلم مع صديقه". الله يفوق كل الوجود وهو بعيد بغير حدود، ولا يمكن إدراكه، "هو الآخر الكلى" (السر العظيم والذى يسلب العقول). ولكن هذا الإله الفائق العلو هو في نفس الوقت إله الحب الشخصى، فهو قريب بطريقة فريدة، موجود حولنا وحاضر فينا: " الحاضر في كل مكان والمالئ الكل" (الصلاة الأرثوذكسية التى توجه للروح القدس)[٤٢].

ويتطلع الأب أفراهاط إلى الصلاة بكونها لقاء داخليًا للقلب النقي مع الله القدوس، فالصلاة هي حديث القلب، الذي لن يكون موضوع سرور الله القدوس ما لم يكن طاهرًا ونقيًا.
فيقول: الصلاة جميلة وأعمالها مستقيمة، الصلاة المقبولة تُشعر الإنسان بالراحة. تُسمع الصلاة عندما نشعر بالغفران فيها.

---

[٣٩] الاب سيرافيم البراموسي، نحو الصلاة، ص ١٤
[٤٠] العباده الارثوذكسيه، الاب كاليستوس وير، ص ٨
[41] Theological, Gnostic and Practical Chapters.
[٤٢] صلاة من قطع الساعة الثالثة " أيها الملك السمائى..." .

الصلاة المحبوبة هي الصلاة النقيَّة الخالية من كل غش. وتكون الصلاة قويَّة عندما تعمل قوَّة الله فيها.
عزيزي، كتبت إليك أن الإنسان عندما يلتزم أن يتمم مشيئة الله، وتكون المحور الأساسي لصلاته، يسمو الإنسان في صلاته. قلت لكم هذا: لا تهملوا الصلاة.
يلزم أن تشتاقوا إلى الصلاة ولا تكلُّوا منها. كما قال ربنا وهو مكتوب: "انه ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُمل" (لو ١٨: ١)، يجب أن تتُوقوا إلى السهر، وإنزعوا عنكم الغفلة والنوم. يجب أن تكونوا مستيقظين في كل وقت بالنهار والليل ولا تفتروا[٤٣].

و يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: نقدمها بملء الفرح بسبب ما أعطانا من كرامة عظيمة، إذ أن جنسنا البشرى الفانى قد نال مثل هذه النعمة العظيمة حتى أنه يتمتع دائمًا بالحديث مع الله والذى من خلاله نتجاوز وضعنا كمائتين وزائلين.
فمن جهة، إننا بحسب الطبيعة مائتين، ومن جهة أخرى فإننا ندخل إلى الحياة الأبدية بالحديث مع الله. ونحن نثق أن من يصلى إلى الله يرتفع فوق الموت وكل فساد.
وكما أننا عندما نتمتع بنور الشمس لا نكون فى ظلام، هكذا عندما نتمتع بالحديث إلى الله عن طريق الصلاة، فلا نكون بعد فى حالة فساد، وبسبب عظم هذه الكرامة الموهوبة لنا، فإننا نعبر إلى الحياة الأبدية.
إن كل الذين يتحدثون إلى الملك يأخذون كرامة منه. ولا يمكن أن يبقوا بعد فقراء. وبالأكثر جدًا فإن أولئك الذين يصلّون إلى الله ويتحدثون معه لن تكون لهم نفس فاسدة، فهذا أمر مستحيل. فموت النفس هو فى عدم التقوى والانغماس في الخطية. وعكس ذلك فإن انتعاش النفس هو فى الصلاة إلى الله، وهذه الصلاة تنعكس على السلوك الروحى.
إذن فحياة البر والصلاة تنير نفوسنا وتغنيها بأسلوب فائق[٤٤].

ويقول الاب تيتو كوليباندر: إن رجل العلم يَدرس الأشياء والظواهر المخلوقة، أما رجل الصلاة فهو يعمل جادًا مع خالق المخلوقات. إن ما يحرك حبه ليس هو الدفء بل الينبوع الذى يفيض بالدفء، وما يشغل اهتمامه ليست هى وظائف الحياة بل مصدر الحياة، إنه ليس محصورًا فى حدود ذاته الخاصة ولكنه مشغول بمصدر الشعور والوعى فى داخل كل ذات. وأعنى به خالق الذات وكل الكيان[٤٥].

ويقول ماريوحنا الدرجي: إن الصلاة ليست شيئاً أخر سوي الإغتراب عن العالم المنظور و العالم غير المنظور. لأنه ماذا لي في السماء؟ لاشئ، و ماذا أردت علي الأرض معك؟ لاشئ (مز ٧٣: ٢٥– ٢٨)، إلا أن ألاصقك بالصلاة كل حين خلواً من طياشة. قوم ينشدون ثروة وآخرون يؤثرون مجداً و آخرون املاكاً، أما انا فمرامي الإلتصاق بالله، و أن ألقي عليه رجائي (مز ١٧: ١٤– ١٥) في زوال الأسقام عني[٤٦].

[43] Demonstrations 4:16.

[٤٤] الصلاة، ترجمة د/ سعيد حكيم ، ص ١٨
[٤٥] طريق النساك، ص ٦١
[٤٦] السلم إلي الله، ٢٨: ٢٧

الصلاة عشق

عواطفنا ومشاعرنا لا ينبغى أن تستبعد من عبادتنا، لأن هذه العواطف أيضًا هى جزء من شخصيتنا. وأيضًا ينبغى أن يجعل العشق صلاتنا مملوءة حيوية. أى أن تكون صلاتنا بشوقٍ شديد وحار إلى الله، حتى تصير عبادتنا حقًا اختبارًا " للدهش العشقى" بحسب عبارة مكسيموس المعترف. ولكن الفكر والشهوة، والعقل والعواطف والمشاعر ينبغى أن تجمع مع الطبقات الأخرى لشخصيتنا، وكل طبقات شخصيتنا ينبغى أن تتكامل في وحدة حية، في مستوى الذات العميقة أى القلب. ونقتبس "إيفلين اندرهيل" مرة أخرى إذ تقول " اختبارنا لله ينطلق من مجال الشعور والوعى ليحوّل مستويات العقل الغريزية العميقة ويدخلها ضمن الفعل الكلى للعبادة". إذن فعبادتنا يجب أن تكون شاملة لكل كياننا[٤٧].

الصلاة – في ذهن القديس أغسطينوس – هي لغة شوق النفس نحو الله. إنها المترجم لاشتياق القلب.
الصلاة هي بلوغ العقل المملوء حبًا إلى الله، إنها تشغل الذهن والقلب، الفكر والرغبة، المعرفة والحب. الحياة الكاملة للمسيحي الصالح هي رغبة مقدسة[٤٨].
وآسفاه. إنه من السهل أن تطلب أشياء من الله ولا تطلب الله نفسه، كأن العطية أفضل من العاطي[٤٩].
الله لا يمنع محبة هذه الأشياء بل أن نجد سعادتنا في حبنا لها. يليق بنا أن نجعل حب خالقنا هو غاية تقديرنا لهذه الأشياء... فالمهر يُقدم للمخطوبة لكي في مهره لها تحبه هو. هكذا يعطيك الله كل شيء، فلتحب ذاك الذي صنعها[٥٠].
أي شيء ثمين يطلبه من الله من يستهين بتقديره لله نفسه؟![٥١]
لا تطلب شيئًا من الله، بل عطية ذاته لك[٥٢].
أن تترجى الله من الله، هذا هو أن تحب الله صاحب النعمة[٥٣].
ليس بعدل يُحب ما يأتي من الله إن كان الله نفسه يُنسى بسببه[٥٤].
لا تجد شيئًا يقدمه لك أفضل من ذاته، لكن أن كنت تجد ما هو أفضل منه أطلبه بكل وسيلة[٥٥].
هل لا يوجد لدى الله مكافأة؟ لا توجد إلا عطية ذاته![٥٦]
إذ تدعو الله، أو تدعوه إليك، يعني انك تدعوه إلى بيت قلبك[٥٧].
أن تترجى الله من الله، هذا هو أن تحب الله صاحب النعمة[٥٨].
اجعلنا سعداء يا إلهي في انشغالنا بك فلا نفقدك[٥٩].

[٤٧] العباده الارثوذكسيه، الاب كاليستوس وير، ص ١٢

[48] Tr. on 1 John 4:6.
[49] On Ps. 76:2.
[50] Tr. on 1 John 2:11.
[51] Sermon 91:3.
[52] Sermon 331:4.
[53] Sermon 304:3.
[54] Confession 4:12:18.
[55] On Ps. 53:10.
[56] On Ps 72:32.
[57] On Ps. 30:4.
[58] Sermon 304:3.
[59] Sermon 113:6.

ذاك الذى اهتم بالأرض ان توجد لا يهمل صورته على الأرض[٦٠].
لم يغرس الله شجرة رديئة في الفردوس. لكن ذاك الذى منع أن تُلمس شجرة هو أفضل من الشجرة[٦١].

و يقول مار إسحق: حب الله ليس هو شيئاً غير معروف يختلج (في القلب) بغير إفراز. كما أنه لا يُستطاع أن يتحرك في الإنسان من معرفة الكتب، ولا الإنسان نفسه متى أراد يقدر أن يحب الله من معرفة القراءة وسِير الكتب. ولا حين يملك على العقل الاستحياء من تذكار عظمة الله ويخاف منه بإفراز خوف العبيد أو مخافة البنين ويتيقظ لعمل الفضيلة ولحرارة الصلاح والاحتراس من الأمور التي ينهى عنها الناموس، ولا بأن يغصب الإنسان ذاته قسراً بالجهاد والعناد لكي يتصور في نفسه حب الله. ولا من العادات والتحيلات البشرية؛ حتى ولا من النواميس والوصايا التي على الحب يستطاع أن يُحَب الله؛ لأنه من الناموس يتولد الخوف وليس المحبة. ولكن هي عطية ينالها الإنسان إذا ما قبل روح الاستعلانات، فتتجدد نفسه بحركاتها بحكمة الله التي تفوق العالم، ويبتدئ يحس بالله في ذاته أنه عظيم جداً. فبغير هذا لا يمكن أن يدنو إلى مذاقة المحبة المحمودة. لأن الذي لا يشرب الخمر لا يسكر من الخبر على صفته، والذي لم يؤهل في ذاته لمعرفة عظائم الله لا يقدر أن يسكر بمحبته[٦٢].

و يقول ايضاً: الصلاة التي تكون من الحب تشجِّع الضمير، وتُلبس العقل قوة؛ لأن الرجاء يلهب ضمير الإنسان ليتجلد على الشيء الذي هو فيه، ويصبر على الضيقات وشرور الأرض، وإذا قايسها بالخيرات الموعود بها تكون عنده كلا شيء، ولذاك الشبه ينقلب (أي يتغير) بمرآة ضميره من وقت لآخر بنعمة ومعونة الروح والتشوق الإرادي[٦٣].

وبإسهاب يتحدث انبا مقار عن هذا العشق قائلاً: إن النفوس التى تحب الحق وتحب الله، وتشتهى برجاء كثير وإيمان أن تلبس المسيح كلّية، لا تحتاج كثيرًا إلى تذكرة من الآخرين، بل أنها لا تحتمل ولا إلى لحظة، أن تكون محرومة من حبها المشتعل للرب واشتياقها السمائى له بل بالحرى إذ يكونون مسمرين تمامًا وكلّية فى صليب المسيح، فإنهم يشعرون بإحساس النمو والتقدم الروحى نحو العريس الروحانى، وإذ يكونون مجروحين بالشوق السماوى، وجائعين إلى بر الفضائل، فإنه يكون لهم رغبة عظيمة لا تنطفئ فى إشراق وإنارة الروح..
وحتى إذا نالوا بواسطة إيمانهم، امتياز معرفة الأسرار الإلهية وحتى إذا جُعلوا شركاء فى بهجة النعمة السماوية، فإنهم مع ذلك لا يضعون ثقتهم فى أنفسهم، ولا يظنون أنهم شئ، بل بقدر ما يحسبون أهلاً لنوال المواهب الروحية، بقدر ما يزدادون عطشًا للشهوة السماوية، ويزدادون فى طلبها باجتهاد وسهر.
وبقدر ما يشعرون فى أنفسهم بالتقدم الروحانى، فإنهم يزدادون جوعًا وعطشًا إلى شركة النعمة وازديادها.. وبقدر ما يزدادون فى الغنى الروحانى، فإنهم بقدر ذلك يعتبرون أنفسهم فقراء، إذ أنهم لا يشبعون من الشوق الروحانى الحار إلى العريس السماوى، كما يقول الكتاب " *الذين يأكلون يعودون إلىّ جائعين، والذين يشربوننى يعطشون*" (ابن سيراخ٢٤: ٢١)[٦٤]..

---

[60] On Ps 40:3.
[61] The Nature of Good, 34.

[٦٢] الميمر١: ٢٣
[٦٣] الميمر ١: ٤٠
[٦٤] عظة ١٠: ١

الصلاة صعود لله بخوف ورعدة

إن المسيحى، في العبادة يمثُل أمام الله بموقف مزدوج، مدركًا " قرب الإله الأبدى وفي نفس الوقت بعده وآخريته"، وتلك هى عبارة كاتبة إنجليكانية كان لها حب عميق للأرثوذكسية وهى إيفلين اندرهيل Evelyn Underhill[٦٥]. وبينما هو (أو هى) يصلى، فإن العابد يشعر برحمة الله وبدينونته معًا، يشعر "بلطف الله وصرامته" (انظر مز١٠١:١، رو١١:٢٢). فحتى نهاية حياتنا الأرضية، نحن نقف دائمًا بين اليقين والرهبة: وبكلمات القديس أمبروزى شيخ رهبان أوبتينو، نوجد بين الرجاء والخوف.

وهكذا أوصي الكتاب: [لِذلِكَ وَنَحْنُ قابِلُونَ مَلَكُوتاً لا يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى. ٢٩لأَنَّ إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ.. عب ١٢: ٢٨– ٢٩]، هذا الموقف المزدوج يظهر بوضوح في الصلوات الليتورجية للكنيسة الأرثوذكسية، التى تنجح في أن تجمع معًا الخاصيتين: خاصية السر، وخاصية الشعبية. وهنا نقتبس من إيفلين اندرهيل مرة أخرى، " (العبادة الأرثوذكسية) تحس بسر الإله الفائق العلو إحساسًا عميقًا جدًا، ولكنها مثل الأطفال تمامًا في اقترابها منه بثقة".

ونجد في النصوص الليتورجية للشرق المسيحى أن هذه المشاعر المتناقضة من الرجاء والخوف، من الثقة والرهبة توضع مرة بعد أخرى إلى جوار بعضها. فالقرابين المقدسة هى " الأسرار المحيية والمخوفة". والكاهن يدعو الشعب للاقتراب من الكأس قائلاً " بمخافة الله، وبإيمان ومحبة اقتربوا". فالخوف والثقة المملوءة حبًا يسيران معًا يدًا في يد. وهناك صلاة قبل التناول منسوبة للقديس سمعان اللاهوتى الجديد يقول فيها:

" بتهليل ورعدة في نفس الوقت،
أنا التبن أتناول النار،
ويالللعجيبة المذهلة!،
وأنا أنال انتعاشًا لا يعبر عنه،
مثل العليقة القديمة،
التى اشتعلت ومع ذلك لم تحترق ".

" بتهليل ورعدة في نفس الوقت ": هكذا بالضبط ينبغى أن يكون موقفنا ونحن نقف أمام الله. فينبغى أن تتسم عبادتنا بإحساس قوى من المهابة والخشوع، لأنه مخيف هو الوقوع في يدى الله الحي (عب١٠:٣١)؛ وبالتساوى ينبغى أن تتسم عبادتنا بإحساس الألفة وبساطة الحب، لأن هذا الإله الحي هو أخونا وصديقنا. وعندما نصلى، فنحن في نفس الوقت عبيد أمام عرش ملك السماء، كما أننا أطفال يحسون بالسعادة لوجودهم في بيت أبيهم. فالدموع التى نسكبها ونحن نقترب من تناول الشركة المقدسة هى دموع توبة إذ أننا نفكر في عدم استحقاقنا ـــ "أنا التبن" ـــ وهى في نفس الوقت

[65] Worship, (London: Nesbit, 1936), 263.

دموع فرح إذ أننا نفكر في حنان الله الرحيم. "أولئك الذين قد ذاقوا موهبة الروح يشعرون بأمرين في نفس الوقت: فمن ناحية عندهم فرح وتعزية، ومن ناحية أخرى عندهم رعدة وخوف وبكاء[٦٦]. هذا ما تؤكد عليه عظات القديس مقاريوس. هذان الشعوران ينبغى أن يميزا عبادتنا معًا وفي وقت واحد إن كان لنا أن نقف باستقامة في الحضرة الإلهية[٦٧].

ويقول العلامة اوريجينوس: هذا ما تعرضه لنا الشريعة، حتى أننا نحصد محصول الأسرار وحتى نستخدمها كدرجات لنصعد من الأشياء السفلى إلى الأشياء العليا، ومن حقائق الأرض إلى حقائق السماء. والآن أيها السامع، أصعد إذا استطعت، أصعد فوق الأفكار الأرضية هذا بفضل التأمل العقلي وبفضل القلب البصير إنسَ الأرض لبعض الوقت، أصعد إلى سحب السماء بمجهود ذكائك أبحث عن خيمة الله[٦٨]، حيث يسوع قد دخل "*لكي يعد لنا الطريق*" (عب٦: ٢٠)، وحيث "يظهر أمام وجه الله" ليشفع فينا. أبحث هناك عن هذه الرايات الأربع، وعن هذه المواضع التي للمحلة. أنظر إلى الجيش الإسرائيلي والحرس المكون من القديسين، وأبحث عن أسرار الأبكار موضوع بحثنا الآن[٦٩].

كما يقول مارإسحق: اجلس في حضرة الرب كل لحظة من لحظات حياتك، حيث تفكر فيه، وتذكره في قلبك، وإلاَّ فإنك حين تراه بعد فترة من الزمن، تُحرم من حرية الحوار معه بسبب الخجل، فإن الحرية العظيمة للحوار تتولد من الالتصاق به.
الالتصاق الدائم مع الكائنات المرافقة تشغل الجسد، أما مع الله فتشغل تأمل النفس وتقديم الصلوات... "قلب الذين يطلبون الرب يتهلل".
اطلبوا الرب أيها الخطاة، وتقوّوا في أفكاركم بالرجاء.
اطلبوا وجهه بالتوبة في كل الأزمنة، فتتقدّسون بقداسة وجهه.
اجروا نحو الرب يا أيها الأشرار، فإنه يغفر الشر وينزع الخطايا[٧٠].

ويقول مارإفرام السرياني: يا إخوتي عجب عظيم أن يُخاطب إنسان ترابي في صلاته الإله الذي لا يُري، فإذا وقفت في الصلاة فإعرف بين يدي من أنت ماثل[٧١].

---

[66] Homilies (collection B) 33:2 I: ed. Berthhold, 2:29.

[٦٧] العباده الارثوذكسيه، الاب كاليستوس وير، ص ٨ : ١٠

[٦٨] خيمة الأزلية، تعني السماء بحصر المعنى والخيمة هي رمزها، أوريجينوس يدعو السامعين إلى الدخول إلى السماء التي هي جزء هام من فكره الأسخاتولوجي وهي موضوع العلم عنده.

[٦٩] عظة ٣: ٢ علي سفر العدد

[70] A. J. Wensinck: Mystic Treatises by Isaac of Nineveh, 1923, p 50.
Dana Miller: The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian, 1984, p. 48.

[٧١] مار إفرام السرياني، سيرته وأقواله، للاب اغسطينوس البراموسي، ص ١٢١، ١٢٢

الصلاة بفهم

الحديث عن الوقوف أمام الله "مع وضع العقل في القلب" كما يحثنا الاباء، يعنى إننا يجب أن نعبد الله بكل شخصيتنا الإنسانية. فالملكات العقلانية لا تُستبعد بأى حال، لأننا مخلوقات عاقلة ــ وهى التى دعاها القديس كليمنضس الأسكندرى "بالخراف العاقلة"[٧٢] ــ ولذلك ينبغى أن تكون عبادتنا " *عبادة عقلية*" (رو ١٢: ١)[٧٣].

فالصلاة بدون فهم و تذوق لكل كلمة هي عدم ولا شئ، فالصلاة ليست تعويذة سحرية نلقيها بدمدمات غير مفهومة، بل هي حركة الشوق الاسمي المزروع في الطبيعة البشرية. و الكلمة في الصلاة هي عهد وإلتزام ، فعندما ادعو الله بأبانا اتعهد امامه ان اكون علي صورة ابنه، وعندما ادعوه ان يغفر لي اتعهد امامه أني سأغفر للأخرين ..
فالصلاة ليست فرض اؤديه لكي ما استرضي الإله، بل الصلاة إحتياج للشبع من اللاهوت، ولا يُمكن أن يشبع من لم يطلب الطعام، ولن يطلب الطعام إلا من يشعر أنه جائع.
وهكذا ايضاً فالكلمة هي تعبير عن إحتياج حقيقي، ولا يمكن ان يكون إنسان في إحتياج حقيقي و يقف ليتعهد ايضاً ولا يكون ذهنه حاضر معه في ذلك الوقت!

يقول القديس باسيليوس الكبير: إذ نكون متأكدين تمامًا أن الله هو أمام أعيننا. فإننا إن رأينا أميرًا أو حاكمًا وندخل في حوار معه نحفظ أعيننا ثابتة عليه، كم بالأكثر يكون ذاك الذي يصلى حافظًا ذهنه ثابتًا على الله فاحص القلوب والكلى. وبذلك يحقق الكتاب المقدس: "رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال" (١ تي ٢: ٨)[٧٤].

يقول القديس اغسطينوس: تذكر أن الله لطيف ورقيق ويحتمل تشتيتنا (في الصلاة)، وينتظر أن يهبنا أن نصلي بطريقة كاملة. عندما يهبنا تلك الصلاة يقبلها منا، ولا يذكر كيف كنا نصلي قبلاً بطريقة خاطئة. إن كنت أمام قاضٍ وفي أثناء حديثك بدأت تهمس مع صديق، ماذا يحدث؟ مع ذلك فإن الله يرفعنا بالصلوات التي تقتحمها أفكار أخرى.
عندما تقرأ يتحدث هو معك، وعندما تصلي تتحدث أنت معه.
إن كان الأمر هكذا هل نيأس يا اخوة، ظانين أن العقوبة تنتظر من يجول فكره مشتتًا أثناء صلاته؟ لا، لنقل: "فرِّح نفس عبدك، فإني إليك أرفع نفسي!"
كيف أرفعها؟ قدر ما أستطيع حسب القوة التي تهبني إياها؛ قدر ما اضبط أفكاري المشتتة.
لأنك لطيف ورقيق لا تطردني. قوِّني فاثبت، ولتحتملني حتى أبلغ هذا[٧٥].

ويقول القديس كيرلس السكندري: ليس الغرض من الصلاة طلب المجد والظهور، بل يجب عندما نقف "رافعين أيادي طاهرة" (١ تى ٢: ٦) أن نصعد إلى السماء إلى مسكن الله متَّخذين

---

[72] Pedagogue, Book3 Hymn to "Christ the Savior" line 29.

[٧٣] الاب كاليستوس وير، العباده الارثوذكسيه، ص ١١

[74] Reg. Brev. 201.
[75] On Ps 85: 7.

مكانًا هادئًا لنكون في معزل عن ضوضاء العالم وهمومه ومتاعبه، ولنعمل كل هذا بنشاطٍ وسرورٍ، لا بقلقٍ وتعبٍ. لنقم بذلك بشوقٍ وغيرةٍ وصبرٍ جديرٍ بالثناء والإعجاب[٧٦]

و يقول ماراسحق: وكما قال القديس مرقس: إن الذي يصلي بفهم ينبغي أن يصبر على جميع ما يأتي عليه؛ لأن هذا هو زيّ الصلاة أنها بالأفهام المدهشة تجعل العقل شجاعاً وغير قابل للآلام. وبحسب قول أوغريس: إن كل من يصلي بفهم فإن هذه الفضيلة تعدّه للجهاد مع الشياطين بواسطة فهم كلام الصلاة، وتشعله بمحبة أمور الدهر الآتي، والمعرفة التي فيها بأفهام الطبع تفصل العقل من اللحم (أي من الجسد)[٧٧].

يميز القديس أغسطينوس بين الصوت الذي بلا معنى ولا فهم كصوت شيء يسقط على الأرض أو احتكاك مادتين معًا... وبين الصوت الذي يصدر عن كلمات لها معني، هذه تصدر عن الكائنات الحية العاقلة، يُعبر عنها بالكلمات. هكذا الصلاة الحية المتعلقة تصدر صوتًا voice خاصًا بها، أما الصلوات التي بلا معني – ولا يخرج عن مشاعر صادقة فتخرج أصواتًا sounds بلا حياة.
من يقدر أن يشك في أن الصرخات التي ترتفع إلى الرب في صوت Sound صلاة تكون باطلة إن نطقت بصوت voice الجسد لا بصوت القلب الثابت في الله؟
أما إذا صدرت عن القلب فإنها تفلت من ملاحظة الغير من البشر إن كان الضعف الجسد إني صامتًا، لكنها لا تفلت من ملاحظة الله. لذلك عندما نصرخ إلى الرب بصوت الجسد – حيث تتطلب الظروف هكذا – أو بالصمت يلزمنا أن نصرخ من القلب[٧٨].

ويقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث: الإنسان الذي يُصلي بكلمات قليلة يدري و يعي ما يقوله في الصلاة. هؤلاء الذين لا يدرون تماماً بكل ما يقولون تعلموا ان يقولوا اشياء كثيره. لكن الإنسان الذي تعلم ان يكون علي وعي بما يتلوه في الصلاة، لا يستطيع ان يقول اشياء كثيرة خشية ان يصير عقله مشوشاً. لا حاجة لان يقول كثيراً لله، ولكن يجب ان يكون الإنسان علي وعي ذكي و شعور صادقبالقليل الذي يتلوه، اي يجب ان يفهمه. ليس من المُستطاع ان تكون علي وعي تام بالصلاة دون ان تُشرك الروح القدس. إذا لم يُصبح الإنسان صديقاً لله بواسطة ربنا يسوع المسيح في الروح القدس، فإن نفسه لا تستطيع الصلاة بوعي ذكي، كما يقول احد الاباء القديسين: (كي نُصلي كما يجب، يجب علينا ان نُصلي بقوة الروح القدس). هكذا تكون صلاة الإنسان الذي يتصور انه يُصلي صلاة صحيحه دون الروح القدس، حتي ولو رتل التسابيح لله، تكون صلاته كتجديف، لانه غير نقي ولم يصبح بعد صديقاً لله[٧٩].

ويقول العلامة اوريجينوس: الذبائح الروحية وهي الذبائح التي نقرأ عنها "*أذبح لله حمدًا وأوفي العلي نذورك*" (مز٥٠: ١٤)، إذًا من يقدم الذبائح يجب أن يحمد الله ويقدم له نذور الصلاة، لكن باكورة هذه الذبائح ستقدم بواسطة الكاهن الأعظم. إذًا نحن لا نصلي فقط بالكلام لكن أيضًا بالذهن والقلب بحسب نصيحة الرسول "*أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضًا*" (١كو١٤: ١٥)، حيث إن ملائكة الله زراع وحراث قلوبنا، حاضرون بيننا ويبحثون بيننا عن من له ذهن منشغل ومنتبه بحيث أنه يحصل على كلام الله باشتياق مثل حصاد إلهي، هؤلاء

---

[٧٦] عظة ٢٣.
[٧٧] الميمر ١: ٤٢
[78] On Ps 118.
[٧٩] الفيلوكاليا، فقره١٨١

الملائكة يبحثون إذا كان كلام الله قد نتجت عنه ثمار بمجرد أن قمنا للصلاة بمعنى إذا كنا نصلي لله بتجميع وتركيز أفكارنا.

إن لم يشرد ذهننا وإن لم تتشتت تأملاتنا، فبينما يكون جسدنا منحنيًا للصلاة لا تتشتت أفكارنا في اتجاهات مضادة، بمعنى أن الواحد يشعر بأن تضرعاته هي تحت أنظار الله وفي حضرة الله وفي حضرة نوره الذي لا يطمس[٨٠].

[٨٠] عظة ١١: ٩ علي سفر العدد

الصلاة بالمزامير

سفر المزامير هو سفر التسبيح في الكتاب المُقدس، فيه التهليل بالإنتصار، والتمجيد لله، والفرحه بالخلاص، والصرخة من الآلم، وضغطات ضيق التجارب.
كل مزمور هو حالة عاشها المُرنم وعبر عنها في تسبحة قدمها لله، سواء كانت تسبيح بمجده، او تهليل بخلاصه، أو شكوة مرة من الاحساس بإختفائه وقت الضيق، او شكرة علي الخلاص.
فهو تعبير عن احاسيس و مشاعر إنسانية مُنسكبة امام الله سواء في الفرح او في الضيق، وسواء في الإحساس بقوة الله او عند الشعور بانه مُختفي في غمام التجربة و الألم.
هذه كلها مشاعر نمر بها في حياتنا الروحية من نكوص وإرتفاع بالروح، وليست حالنا فقط بل حال ايضاً من نحملهم معنا بهمومهم و طلباتهم في صلاتنا.
وهكذا فالمزمور هو لسان حاللي المُصلي ومن يُصلي ايضاً لأجلهم، في داخل كل مزمور عدة إختبارات نمر بها في حياتنا فيقدم تمجيد لله، ثم شعور بالالم من ضيقة الاعداء، ثم يترنم بقلب مؤمن بخلاص الله القريب.
وهكذا فقد رأت الكنيسة عبر الاجيال هذا الكنز المُخبأ في المزامير فأستخدمته في جميع خدمات صلواتها سواء الليتورجية او الفردية.

ولهذا نجد الدسقولية وهي أقدم تنظيم قانوني كنسي توصي الاسقف أن يُعلم الشعب قائلاً: اجتمعوا كل يوم إلي باكر وعشية إلي البيعة (الكنيسة) لتصلوا وترتلوا وتقرأوا المزامير[٨١].
ويقول المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري: إن الامر بإنشاد المزاميربإسم الرب كان مُطاعاً من كل أحد وفي كل مكان، فهو معمول به في كل الكنائس الكائنة في كل الامم، ليس فقط اليونانية، بل البرابرة[٨٢] ايضاً في كل العالم، وفي المدن والقري، وفي الحقول[٨٣].

و يقول القديس باسيليوس: "كل الكتاب موحى به من الله، ونافع" (٢ تي ٣: ١٦). كُتب بواسطة الروح القدس، لكي تجد نفوسنا كل نوع من الدواء لشفائها، مهما كان عددنا، ومنه تختار الدواء المناسب لحالتها. لأن العلاج يسكن خطايا عظيمة (جا ١٠: ٤).
يقدم الأنبياء نوعًا واحدًا من التعليم، والكتب التاريخية تقدم نوعًا آخر، والناموس آخر، ويجد نوع آخر في حكمة الأمثال، أما سفر المزامير ففيه خلاصة كل الفوائد التي جاءت فيها جميعًا. فهو يتنبأ عن المستقبل، ويشير للتاريخ، ويحدد قوانين لتجديد الحياة، ويوصي بما ينبغي عمله، باختصار هذا السفر هو نوع من الدليل للتعاليم الصالحة في كل شيءٍ والنافعة لكل أحدٍ. يضمد الجرح الحديث، فيشعر المريض بالتحسن، وهو يعطي شفاءً للمريض، ويحفظ القائمين.
وخلاصة الأمر يرفع حرب الشهوات التي تدنس النفس بطرق كثيرة، ويجذبها بالفرح والتسبيح، لتنمو في الحكمة.

و يكمل قائلاً: يرى الروح القدس بوضوح وعورة الطريق إلى ممارسة الفضيلة. يرى كيف يميل الجنس البشري بطبيعته إلى اللذة، فيستخف بالطريق المستقيم. فماذا يفعل الروح؟ تتسم تعاليمه بالجاذبية، فيه الوداعة والتناغم لننهل منها، مثل الطبيب الذي يعطي لمريضه الدواء المر مضافًا إليه العسل...

---

[٨١] الدسقولية الباب العاشر، أيضاً أنظر: apostolic constitutions II, 59
[٨٢] كان غير اليونانيين يسمون برابرة
[83] Davies, j.g, a dictionary of liturgy and worship, London 1972, p. 326,

المزامير هي غناء منظوم فيها الحق، لصغار السن وصغار النفوس، وإن كان الإنسان ينسي سريعًا كلمات الوعظ والنبوة، إلا أنه لا ينسى المزامير التي يرددها كثيرًا، في البيت، والخارج،، وترتيل المزامير يطرد الغضب الذي يجعل من الإنسان حيوانًا مفترسًا، ويسرق منه سلامه، ويملأه ثورة. التسبيح بمزمورٍ يجلب هدوءًا للروح، فنستقر في سلامٍ، كما يهدئ عواصف أفكارنا العنيفة. فهو يسيطر على الشهوة، ويطفئ النار التي في صدورنا قبل أن تلتهب. أتريدون أن ترتبطوا بصداقةٍ وتصالحوا المتخاصمين ويغفر الأعداء لبعضهم البعض؟ رنموا مزمورًا. كيف يمكن لأحد أن يحتضن عداوة لآخر يلتصق به وهو يسبح الله بصوت واحدٍ؟ الحب هو أعظم صلاح من الكل، والتسبيح بالمزامير يجلب الحب، لأنه يقدم نوعًا من رباط الوحدة، إذ يجمع الشعب معًا في خورسٍ واحدٍ متناغمٍ...إنه نقطة البداية للمبتدئين، وعون للذين هم بالفعل في الطريق، ومصدر القوة للبالغين. أن كان التسبيح بمزمورٍ يجلب حزنًا، فهو حزن إلهي، لأن المزمور يقدر أن يهب دموعًا للقلب الحجري!

و يقول ايضاً: المزامير تطرد الشياطين، وتجلب لنا معونة الملائكة.
هي سلاح في فزع الليل، راحة من عناء اليوم.
هي الأمان للأطفال، وزينة للكبار، عزاء الشيوخ، وزينة النساء. هي حكمة الساكنين في البراري، معلم التجار، نمو النامين، سند الكاملين.
إنها صوت الكنيسة، فهي تضفي الفرح على الأعياد، وتبكت الضمير. المزمور يجعل النفوس الحجرية تبكي، والمزمور هو عمل الملائكة، وهو حياة السمائيين، وهو البخور الروحاني.
جاءت بترتيب حكمة إلهية، ليجعلنا نرتل وتعلمنا كل ما هو مفيد.
تستقر المزامير في الفهم، فما تتعلمه بالتغصب سرعان ما يتلاشى، بينما تستقر في داخلك جاذبية التلذذ بالمزامير.
لماذا لا تحفظ المزامير؟ فتجد فيها الشجاعة والعدل والحكمة وكمال الحكمة، والطريق إلى التوبة، وكمال الصبر. فيها كل ما هو مفيد، فيها كمال علم اللاهوت، ونبوات عن مجيء المسيح في الجسد، ورجاء القيامة، والخوف من العقوبة، والوعد بالمجد، والكشف عن الأسرار، نجد كل هذا المخزون في المزامير، كما في مخزنٍ يفتح أبوابه أمام الجميع.

و يقول ايضاً: المزامير تهب النفس الطمأنينة وتعطيها السلام وتهدئ فيها بلبلة الأفكار وتراكم الشهوات. هذا الكتاب هو كتاب المحبة... هو سلاح ضد الشيطان... هو سبب راحة بعد تعب النهار... هو تعزية الشيوخ هو باعث أفراحنا وأحزاننا المقدسة... هو نشيد رائع، هو صوت الكنيسة، هو بخور زكي الرائحة[٨٤].

و يقول القديس مارإسحق السرياني: لأن خدمة المزامير تخلّصنا من شرور كثيرة، وبها نبلغ إلى موهبة طهارة الصلاة وإلى نظرة العقل التي هي الأفهام بالروح؛ لأن هذا هو كمال الخدمة وغاية كل ترتيب القوانين[٨٥].

ويقول ايضاً: لأن خدمة المزامير وصلاة أبانا الذي في السموات وصلاة التلاوة التي يرتبها الإنسان من ذاته، ويمجِّد بها الله من أجل عظم مجده، ويعترف بها بالخيرات التي أعطانا إياها ووعدنا بها، وبها (أي بتلك الصلوات) يتضرع ويطلب الرحمة والشفاء والخلاص – هذه الثلاثة أنواع من الصلاة تكون للشياطين كمثل السهام المتقدة المسمومة فتقتلهم وتستأصلهم[٨٦].

[٨٤] راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٩٢. عظة على المزامير.
[٨٥] الميمر ١: ٢٢
[٨٦] الميمر ٢: ٥٥

ويقول ايضاً: لو أن إنساناً وصل إلى عرش اللاهوت بالاستعلانات ثم تهاون بالمزامير، فانه يسلَّم في يد الشياطين؛ لأن حد العظمة يبدأ فيه من هنا، كما لو كان قد ارتفع عن رتبة الذين يستعملون المزامير[٨٧].

ويقول القديس اثناسيوس: كما هو مكتوب، يا بُنيَّ، أن «كل الكتاب (بعهديه) هو موحى به من الله ونافع للتعليم» (٢تي٣: ١٦)، أما سفر المزامير فهو يستحق انتباهًا أمينًا من الذين يكرسون أنفسهم له باهتمام خاص... سفر المزامير فهو كفردوس مبارك يحمل ثمارًا عديدة متنوعة، وتحوي أناشيده مواضيع الأسفار الأخرى، في حين أنه، في نفس الوقت، فإن رسالته الخصوصية تظهر بوضوح جنبًا إلى جنب فيما يرتله من الأسفار الأخرى[٨٨].

ويقول ايضاً: إلاّ أن سفر المزامير له أيضًا نعمة معينة خاصة به ونوع نادر من الإدراك الحسِّي المميَّز، لأنه إلى جوار صفاته التي يشترك فيها مع بقية الأسفار، فهو يملك أيضًا نعمة فائقة يتّسم بها بصفة خاصة: فهو يعكس ميول كل نفس وتقلُّباتها والإصلاحات التي تطرأ عليها، وكل هذه تتمثل وتتصور داخل السفر ذاته. لهذا السبب، فإن أي إنسان له رغبة لا حدود لها في أن يأخذ ويفهم من هذا السفر لكي يشكِّل نفسه، يجد ذلك مدوَّنًا فيه.
إنك تسمع في الأسفار الأخرى الناموس الذي يوصي بما يجب أن تفعله أو ما هو ممنوع فقط، ويُصغي المرء للأنبياء ليرى مجيء المخلِّص فحسب، ويرجع إلى الأسفار التاريخية ليمكنه أن يعرف أعمال الملوك والقديسين. أما في سفر المزامير، فبالإضافة إلى إصغاء المرء ليمكنه أن يعلم كل ذلك، فهو يتأمل ويتعلّم فيما يخص ميول نفسه هو. وأكثر من ذلك فهو يمكنه مما يختبره ومما يُظلم فيه أن يحصل من هذا السفر على صيغة الكلام حتى إنه حينما يُصغي إليه لا يستخف بالأوجاع فحسب، بل إنه يعرف أيضًا الكلمات الضرورية وما الذي يفعله لكي يُشفَى من هذه الأوجاع[٨٩].

[٨٧] ميمر٥: ٢٩
[٨٨] الرساله الي مارسلينوس، ٢
[٨٩] المرجع السابق، فقره ١٠

الصلاة و معرفة الله و فهم الكتب المُقدسه

بدون الصلاة والشركة مع الله لا يمكن ان افهم اقوال الله و مقاصده.
بدون عمل الروح القدس والتمييز لا يستطيع شخص فهم الاقوال الالهية لانه اما سينصرف الي حرفية قاتلة او يعطي اراء شخصية تقنع العقل ولا تلمس الروح.
بدون برهان الروح وقوته ومعونته وعمله داخل الخادم لن يلمس القلوب ولن يكون مغيراً ولا فعالاً بل فقط يُحرج اقوال جامدة في قوالب يراها العقل ويقتنع بصحتها لكنها لا تلمس الروح ولا تدخل الي عمق النفس واحتياجها الذي هو من صميم عمل الروح القدس .. فتضيع الخدمة هباء.

و قد ادرك الاباء القديسيين ان الصلاة و الحياة الروحية السليمة والمستقيمة مع الله هي اساس ادراك ومعرفة الله وكلمات انبيائه ورسله القديسيين.. وإذ إنعزل آباء الكنيسة عن كل الخليقة صعدوا لرؤية الله ووصلت هذه الرؤية لأعلى درجاتها في "علم اللاهوت" أو"علم الأسرار اللاهوتية" أو "اللاهوت السري" الذي يسمى أيضاً "المعرفة الروحية الغير منسية"[٩٠]. وبالتالي يكون الآباء العائشون في التيئوريا اللاهوتيين الحقيقيين أو هم اللاهوت الحقيقي ذاته طالما أن اللاهوت يملأ كل كيانهم.

أعتقد أنه يجب علينا أن نبدأ بالقديس غريغوريوس النزينزي إذ أن الكنيسة لم تمنحه لقب اللاهوتي بالصدفة. إنه يكتب في بداية نصوصه اللاهوتية الشهيرة أنه لم يُعطَ لكل واحد أن يتكلم باللاهوت وأن يتحدث عن الله لأن هذا الموضوع ليس رخيصاً ومتدنياً لهذه الدرجة. لم يوضع هذا العمل لكل الناس ولكن "لأولئك الذين إمتـُحنوا وحسبوا أساتذة في رؤية الله والذين تنقوا في النفس والجسد من قبل أو على الأقل الذين يخضعون للتنقية". لا يتكلم عن الله إلا أولئك الذين عبروا من العمل للتيئوريا (رؤية الله) ومن التطهير للإستنارة. ومتى يحدث ذلك؟ " يحدث ذلك عندما نصبح أحراراً من الدنس والإضطراب الخارجي وعندما لا تختلط القواعد الموجودة داخلنا بالغضب والصورة الخاطئة". من أجل ذلك ينصح القديس قائلاً:" إنه من الضروري أن يكون المرء مطمئناً لكي يعرف الله" [٩١].

ويربط نيلوس الناسك اللاهوت بالصلاة وخصوصاً الصلاة العقلية. إننا نعرف جيداً من تعليم الآباء القديسين أن من إكتسب نعمة صلاة القلب يكون قد دخل أول مرحلة في رؤية الله إذ أن هناك نوع من الصلاة هو صورة من التيئوريا. وبالتالي فإن كل الذين يصلون بالعقل يكونون في شركة مع الله وهذه الشركة هي معرفة الإنسان الروحية لله. وهكذا يقول القديس نيلوس: " لو كنت لاهوتياً فإنك سوف تصلي بحق. ولو أنك تصلي بحق فإنك تكون لاهوتياً" [٩٢].

ويقدم القديس يوحنا الدرجي اللاهوت الحقيقي في عدة مواضع في كتابه الروحي المبهج "السلم". " إن الطهارة الكاملة هي أساس اللاهوت". " عندما تتحد حواس الإنسان بالله بصورة كاملة فإن ما قاله الله يصبح بشكل ما واضحاً بطريقة سرية. ولكن حيثما لا يوجد إتحاد من

[90] . Rantosavlievits: Th e mystery of salvation according to Maximus the Confessor, p. 165. In Gk
[91] . Gregory the Theologian. Or.27, 3. NPNFns, vol.7,p.285
[92] . Evagrius. Philokalia 1, p. 62,61

هذا النوع مع الله فإنه يكون أمراً بالغ الصعوبة أن يتحدث الإنسان عن الله"[٩٣] . وعلى العكس من ذلك فإن الذي لا يعرف الله حقاً فإنه يتكلم عنه فقط في صورة "إحتمالات"[٩٤]. وفي الواقع وبحسب تعليم الآباء فإنه أمر سيء جداً أن نتحدث عن الله في تخمينات لأن ذلك يقود المرء للضلال. يعرف هذا القديس كيف ينمو في داخلنا " لاهوت الشياطين ". تعطينا الشياطين الدنسة " دروساً في تفسير الكتاب" [٩٥] في القلوب المحبة للمجد الباطل التي لم تتطهر من قبل بعمل الروح القدس. ولذلك لا يجب على المأسور في الهوى أن " يلعب باللاهوت"[٩٦].

إننا نجد نفس الكلام عند القديس مكسيموس المُعترف إذ يقول: ينكشف اللاهوت أي معرفة الله للشخص الذي وصل لرؤية الله. وفي الواقع يقول نفس الأب في موضع آخر أن الشخص الذي " يركز بإستمرار على الحياة الداخلية " لا يصبح فقط منضبطاً وطويل الأناة ولطيفاً ومتواضعاً ولكنه " سوف يصبح قادراً على التأمل والتكلم باللاهوت والصلاة" [٩٧]. وهنا أيضاً يرتبط اللاهوت بدرجة وثيقة بالتيئوريا والصلاة.

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم : الذين يعملون فى البحار ويهبطون للقاع يجلبون إلى السطح أحجارًا كثيرة الثمن. ونحن إذ نفحص بحر الكتاب المقدس لننزل إلى أعماق الحكمة الروحية على قدر المستطاع فإننا، نُحضر لكم كنزًا ثمينًا ، هذا الكنز يزين النفوس أكثر من زينة التيجان المطعمة بالأحجار الكريمة على جباه الملوك ، لأن بهاء الملوك مرتبط فقط بهذه الحياة الحاضرة ، بينما من يتوج نفسه بكلام الروح القدس يكمل مسيرة حياته بأمان فى هذا الدهر والدهر الآتى أيضًا ، ويقف أمام منبر المسيح مبررًا مملوءًا بكل فضيلة وطاهرًا من كل شر.
أى كنز يمكننا أن نحصل عليه من أعماق الكتاب المقدس، ونحن لم نتلامس بعد مع كل أعماق الحكمة، إذ أننا نزلنا فقط إلى العمق الذى تسمح به إمكانياتنا[٩٨] .

و يقول القديس اثناسيوس الرسولي : إن دراسة الكتب المقدسة ومعرفتها معرفة حقيقية تتطلّبان حياة صالحة، ونفسًا طاهرة[٩٩]، وحياة الفضيلة التي بالمسيح[١٠٠]، وذلك لكي يستطيع الذهن ــ باسترشاده بها ــ أن يصل إلى ما يتمناه وأن يدرك بقدر استطاعة الطبيعة البشرية ما يختص بالله الكلمة[١٠١].
فبدون الذهن النقي، والتمثل بحياة القديسين، لا يستطيع الإنسان أن يفهم أقوال القديسين، فكما أنه إذا أراد إنسان أن يبصر نور الشمس، عليه أن يمسح عينيه ويجليهما، لكي تقترب نوعًا ما من نقاوة النور الذي يريد أن يراه، حتى إذا استنارت العين يمكنها أن ترى نور الشمس؛ أو كما أنه إذا أراد إنسان أن يرى مدينة أو قرية فيجب عليه أن يذهب إلى هناك لكي يراها[١٠٢]،

---

[93] . Ladder. Step 30. CWS p. 288
[94] . Ibid.
[95] . Ibid. p.250
[96] . Ibid. p262
[97] . Ibid. p. 108, 64

[٩٨] الصلاة . للقديس يوحنا ذهبي الفم . المركز الأرثوذكسي للدراسات الابائية .ص ١٠ ، ١١
[٩٩] " طهارة النفس كافية فى حد ذاتها للتأمل فى الله " انظر ضد الوثنيين ٤/٢.
[١٠٠] انظر ضد الوثنيين فصل ٣٤.
[١٠١] جوهر الله لا يمكن إدراكه . انظر: "الدفاع عن مجمع نيقية" ٢٢، "عن مجمع أرمينيا وسيلفكيا" ٣٥. ولهذا فالذهن يمكن أن يُدرك بقدر استطاعة الطبيعة البشرية ما يختص بالله **الكلمة**، وذلك لأن الابن، إذ هو الصورة الحقيقية للآب، فإن مَنْ يرى الابن يرى الآب أيضًا، انظر: "المقالة الأولى ضد الآريوسيين"٢١، ٢٣، ٢٧، ٢٨، "عن مجمع سيلفكيا" ٤٢، "الدفاع عن مجمع نيقية" ١٠.
[١٠٢] عن أهمية أن يذهب المرء إلى بلد ما للتأكد بنفسه مما يحدث فيها انظر فصل ٣/٢٨ــ٥ حيث يذكر القديس أثناسيوس أنه بالمثل مَنْ يريد أن يرى نُصرة السيد المسيح على الموت فعليه أن يذهب إلى كنيسة المسيح.

هكذا فمن يريد أن يعرف فكر أولئك الذين يتكلمـــون عن الله[١٠٣]، يلزمه بالضرورة أن يبدأ بغسل نفسه وتطهيرها بتغيير طريقة حياته، ويقترب إلى القديسين أنفسهم بالاقتداء بأعمالهم، وهكذا إذ يشترك معهم في السلوك يمكنه أيضًا أن يفهم ما قد أعلن لهم من قِبَل الله[١٠٤].

و يقول القديس باسيليوس : ان موهبة التمييز الروحي هي الضامن للفهم الصحيح للكلمة المقدسة ، من يفسر الكلمات الالهية في الاسفار عليه ان يبدأ من نفس مستوي الذين كتبوا الاسفار .. و اقوال الروح القدس في الاسفار ليست سهلة لكي يتعرف كل واحد علي دقة و معاني كلمات الروح القدس فهذا لا يتوفر الا للذين اعطاهم الروح القدس عطية التمييز[١٠٥].

و يتابع القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً : لهذا فإن قال لى إنسان إن الصلاة هى قوة النفس فهو يدرك الحقيقة . فالجسد بواسطة الأعصاب يتشدد ويتقوى ويجرى ويقف ويحيا، فإذا قُطع أحد هذه الأعصاب يفقد الجسد إتزانه. وهكذا فإن النفوس تكتسب بالصلوات المقدسة، نعمة وتميزًا واتزانًا، وتركض بسهولة فى طريق الفضيلة. فإن حرمت نفسك من الصلاة، فكأنك تطرح سمكة خارج الماء. فكما أن الماء هو سبب حياة للسمكة، هكذا الصلاة بالنسبة لنفسك. بالصلاة تستطيع أن تسمو عاليًا وأن تجتاز إلى السموات وأن تعيش بالقرب من الله[١٠٦].

و يقول القديس باسيليوس: والاهتمام بالمصطلحات التي تستخدم في اللاهوت هو أمر يفوق غيرة، والمعاناة في سبيل الوصول إلى المعانى الخفية في كل عبارة وكلمة هي الفضيلة التي لا وجود لها في حياة المتكاسلين عن التقوى، بينما هي ما يميز الذين يسعون وراء الجعالة العليا لدعوتنا (في٣: ١٤). لأن الغاية التي علينا أن نصل إليها هي أن نتشبه بالله على قدر احتمال الطبيعة الإنسانية[١٠٧].

ويعود ذهبي الفم فيقول: ولهذا اذا توخيتم الدقة في قراءتكم، فلن يكون لديكم احتياج لأي شيء آخر. صادقة هى كلمة المسيح الذي قال " *اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم* "[١٠٨].
لكن لأن الكثيرين من المجتمعين هنا معنا، تعهدوا مسئولية تربية الأولاد والاهتمام بالزوجة والعناية بشئون الأسرة، فإنهم لن يستطيعوا أن يكرسوا كل جهدهم لهذا العمل.
ولهذا إذا أردتم أن تتمتعوا بما يعرفه الآخرون، اعتنوا جيدًا أن تُظهروا اهتمامًا لسماع الأقوال الالهية، على قدر ما تهتمون بجمع واكتناز الأموال، على الرغم من أنه ليس من المفترض أن أطلب منكم أن تفعلوا ذلك، لأنه سيكون أمرًا مفرحًا أكثر، لو أنكم أبديتم من أنفسكم اهتمامًا أوفر. فالواقع أنه بسبب الجهل بالكتب المقدسة، قد نتجت شرور لا حد لها. ولنفس السبب أيضًا كانت تلك النتائج المدمرة للهرطقات الفاسدة. وهذا راجع لعدم المبالاة والجهد الضائع في أمور لا فائدة منها.
فالذين حُرموا من نعمة البصر لا يستطيعون السير بشكل طبيعي، هكذا أيضًا أولئك الذين لا يتطلعون نحو بهاء الكتب المقدسة، فإنهم يسقطون حتمًا في خطايا كثيرة لأنهم يسيرون في ظلام مخيف. ولكي لا يحدث كل ذلك، علينا أن نفتح عيون أذهاننا نحو شعاع الكلمة الرسولية[١٠٩].

---

[١٠٣] يقصد القديسين كتَبَة الوحي الإلهي.
[١٠٤] تجسد الكلمه، ترجمة د/ جوزيف موريس فلتس، فصل ٥٧ : ١، ٢
[١٠٥] تفسير الكتاب المقدس عند الاباء . دكتور جورج عوض ابرهيم . ص ٣٣
[١٠٦] الصلاة . للقديس يوحنا ذهبي الفم، مرجع سابق، ص ٩ ، ١٠
[١٠٧] الروح القدس، ترجمة د/جورج حبيب، مراجعة نيافة الانبا يؤانس اسقف الغربيه، ص ٥٩
[١٠٨] مت٧:٧.
[١٠٩] تفسير الرساله إلي اهل روميه، ترجمة د/سعيد حكيم، عظه ١ : ١

ويقول القديس ماراسحق: الصلاة بهذيذها كل وقت تقرِّب العقل إلى الله، وتشجعه وتُنقيه بغياراتها، وتناوله القدس بهذيذها. هذا هو الهذيذ الذي يحبس كل هذيذ؛ لأنه بالضرورة يربط العقل ليستضيء بالخفيات الداخلية، ومنها تؤخذ معرفة الله، ومن هنا نحس بالفعل أننا بنو الآب السماوي، ورثة وبنو ميراث يسوع المسيح. وهنا نقول: «مَن يقدر أن يفصلني من حب المسيح، سيف أو نار...» وما تبقى، و«إني مصلوب للعالم والعالم لي»[١١٠].

و يقول ايضاً: وإن كان الفكر ينجمع من القراءة ، لكنه ما يقتني عفة وحياءً، وينقى، إلا من الصلاة. فالقراءة تجعل الإنسان الخفي جبلة جديدة، ومن الصلاة تنفخ فيه روح الحياة، وتلهب العقل حرارة إلهية كل حين ليطير من الأرضيات ويحل في مسكن الحياة[١١١].

ويقول ايضاً: وإذا ما قرأت الكتب (المقدسة) وانجمع ذهنك من الطياشة، ارجع إلى الصلاة لأن بها يتطهر العقل بالأكثر. لأنه ليس شيء ينقي الضمير مثل مداومة الصلاة، وليس شيء يمنحه حياء وحشمة مثل المفاوضة مع الله بالكلام. حتى لو كان الإنسان مرحاً جداً، فإنه إذا ما قام في الصلاة بحياء وحشمة، ينظر في الله[١١٢].

ويقول د/ نصحي عبد الشهيد: فالنفس يجب أن تتجاوز كل الأعوان البشريين وتمضي مباشرة إلى "النور" الذي في الداخل والمعلّم الذي بالداخل. فالإنصات إلى صوت المسيح داخل النفس والحديث معه كثيرًا، هو في غاية الأهمية. وينبغي أن يأتي وقت حينما تستطيع النفس أن تردد كلمات السامريين في مدينة سوخار: " *أننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن. لأننا نحن قد سمعنا*" (يو ٤:٤٢)[١١٣].

ويقول القديس غريغوريوس السينائي: الحكمة التي يُحركها الروح القدس حسب قول رجال اللاهوت، هي قوة الصلاة الروحية الملائكية، وعلامة هذا، أنهُ أثناء الصلاة يكون العقل مُتحرراً من جميع الصور و الاشكال، من غير اي صورة عن نفسه او عناي شئ آخر يظهر ولو للحظةٍ واحدة، حيث أنها تخرج من الحواس بالنور العامل في قلبه، لانهُ عندما ننزع من العقل كل شئ مادي يكون كالنورالممتزج بدرجة تفوق الوصف مع الله في روح واحد[١١٤].

ويقول القديس انبا انطونيوس: لأن من عرف نفسه عرف الله ومن عرف الله يستحق أن يعبده بالحق. أحبائى فى الرب اعرفوا أنفسكم لأن الذين عرفوا ذواتهم يعرفون زمانهم، والذين يعرفون زمانهم، يستطيعون أن يبقوا ثابتين، لا يتحركون باللغات المتنوعة (بالتعاليم الغريبة). لأنه بالنسبة لآريوس الذى تعظّم (تكبّر) فى الأسكندرية وتكلّم بأقوال غريبة عن الابن الوحيد جاعلاً بداية للذى لا بداية له ونهاية لمن يفوق فحص وإدراك البشر، ونسب التغيير لغير المتغير. فإذا أخطأ إنسان ضد آخر فإنهم يستعطفون الله من أجله، ولكن إذا أخطأ إنسان ضد الله فمن الذى يصلّى لأجله؟ (انظر ١صم٢:٢٥). لذلك فإن هذا الرجل أخذ على عاتقه أمرًا خطيرًا، وجرحه غير

---

[١١٠] ميمر ١: ٤٤
[١١١] ميمر ٣: ١٥
[١١٢] ميمر٣: ٢٢
[١١٣] الروحانيه الارثوذكسيه، ص ١٥٥، ١٥٦
[١١٤] الفيلوكاليا، فقره ١١٦

قابل للشفاء. لأنه لو عرف مثل هذا، نفسه لما تكلّم لسانه عما لا يعرفه. ولكن من الواضح أنه لم يعرف نفسه[١١٥].

يجب علينا أن نؤكد على أن المعرفة اللاهوتية التي لا تنتج من التطهير أي من "العمل= التوبة+ حياة التقوي" هي لاهوت شيطاني. وبحسب القديس مكسيموس فإن " المعرفة بدون عمل هي لاهوت الشياطين" [١١٦].

[١١٥] الرسالة الرابعة

[116] . PG 91, 601 C. Letter 20, to Marinos the Monk

صلاة المخدع وغلق باب الذهن والقلب

(أما أنت فمتي صليت) في هذه الأية تشديد مؤثر علي الذات التي تسمع هذا الكلام. و كأنها دعوه شخصيه.
فالصلاه اعظم سر للصلة بين الناس و بين الله.
و هي حوار قلب خاص مع الله – ليست حوار الجماعه مع الله – بل حواري انا الخاص مع الله.
و هذه هي الطريقة التي يقدم بها المسيحي الحقيقي صلاه مقبوله امام الله.

فالعالم دائماً يريد ان يمتلك قلب و احاسيس الإنسان. اما هنا في قول الرب ادخل إلي مخدعك فهو يقول إغلق جميع الابواب التي من الممكن ان تشتت ذهنك، فالفكره هي الخروج تماماً من العالم و من كل طرقه حتي لا يتسلل بدنسه او بقلقه. كما لا تترك افكار الناس تدخل معك الي مخدعك، فعلي المُصلي ان يدخل الي مخدعه علي إنفراد. أن يقطع الإتصالات بين اي علاقه بالعالم او الناس.

فالصلاه بهذا الشكل بين الإنسان و بين الله، اولاً: تُعيد إلي الإنسان ضبط افكاره. تجعل الفكر حساس الا يدخل في اي شئ من شأنه ان يعكر هذه العلاقه بينه و بين الله.
ثانياً: تجعلك تستطيع ان تدخل مع الله في حوار بالروح الوديع الهادئ.
ثالثاً: يقودني الروح القدس بحريه داخل مخدعي حتي اسجد، اركع، اتهلل، افعل اي شئ بحريه و تحت قيادة الروح.

الصلاه بهذا الشكل نتائجها مبهره ورائعه، و قليلون هم من يتذوقون روعة نتائج هذه الصلوات لان قليلون هم من يقدمون الصلاه بهذا الشكل، نتائج الصلاه بهذا الشكل مُبهره في تعزياتها، في القوه التي يأخذها الإنسان ضد الشر و العالم و الخطيه، في النعمه التي يتحصل عليها الإنسان لكي يُثمر ثمر الروح القدس، في النمو الذي ينموه الإنسان في حياته الروحيه مع الله منذ ان يبدأ طفلاً إلي أن يتحد بالله.

فالمطلوب منا في هذه الصلاة ان نستجمع العقل والنفس بداخل القلب حيث يسوع جالس ونغلق باب القلب علينا في لقاء حي بأنات الروح القدس.

وصلاة المخدع هذه لا تمنع الصلاه الفرديه في اي مكان ليس فقط في مخدع النوم، لكن المهم ان ينعزل عما حوله لتصل بهدوء وتركيز مع الله، و ألا يكون لديه اي رغبة بالظهور و التباهي امام الناس.
إهمال الصلاه الفرديه خطر جداً علي المسيحي الحقيقي، و لهذا نري اشخاص لهم سنوات منذ أن اختبروا العشره مع الله و لم ينموا بعد في الحياه معهُ، لانه لم يدخل بعد في علاقه مع الثالوث.

يقول القديس باسيلوس: حين تبدأ الصلاة انسى كل خليقة منظورة وغير منظورة، وأبدأ الصلاة بمدح الله خالق الكل، لذلك قيل: "فقال لهم متى صلَّيتم، فقولوا أبانا[١١٧]".

ويقول ايضاً: انفصال النفس عن الضوضاء الخارجية يُضفي على مذبح القلب هدوءًا خفيًا، فيهب ذاته لتأمل الحق. إذا استمعت لمن يقر بخطيئته تجده يقول: "شاخت من الغضب عيني" (مز ٦: ٨). وليس الغضب فقط بل والرغبات الشريرة والمجد الباطل والغيرة التي تظلم عين القلب، وبصفة عامة جميع الشهوات تظلم النفس... فالعين المتعبة لا تستطيع أن ترى بوضوح. كذلك القلب الهائج لا يمكن أن يتأمل في الحق. ينبغي إذن الابتعاد عن التركيز في أعمال العالم، فنغلق القلب أمام كل فكر غريب[١١٨].

فهم أفراهاط "المخدع" (مت ٦: ٦) مثل العلامة أوريجينوس[١١٩]، وهو أن مكان الصلاة يجب أن يكون في الداخل، في قلب الإنسان. هذا المفهوم نقابله مرة أخرى مع مار أفرآم في "أناشيد عن الإيمان[١٢٠]". وأكَّد ضرورة الاستعداد للصلاة بأن يهتم الإنسان بالسلوك الداخلي وخصوصًا مسامحة الآخرين.

و يقول: يعلمنا مخلِّصنا هذا النوع من الصلاة. يجب أن تصلِّي سرًا لذاك الذي هو في الخفاء وهو يرى الكل، هكذا قال السيِّد المسيح: "أدخل إلى مخدعك، وأغلق بابك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية" (مت ٦: ٦)
أحبَّائي، لماذا يعلمنا مخلِّصنا قائلاً: "صلِّ إلى أبيك في الخفاء، والباب مغلق"؟
سوف أريكم ذلك على قدر استطاعتي. تعرَّفنا كلمات سيِّدنا أن تصلِّي بقلبك في الخفاء، والباب مغلق، لكن ما هو الباب الذي يجب أن تغلقه؟ إن لم يكن هو فمك، لأنه هو الهيكل الذي يسكن فيه المسيح، كما قال الرسول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله" (١ كو ٣: ١٦)، فلكي يدخل الله إلى إنسانك الداخلي في هذا المسكن، يجب أن يُنظَّف من كل شيء غير طاهر، بينما يكون الباب أي فمك مغلقًا.
إن لم يكن هكذا، فكيف نفهم هذه العبارة؟ اِفترض أنك كنت في الصحراء، حيث لا يوجد بيت ولا باب، كيف لا تستطيع أن تصلِّي في الخفاء؟ وإذا حدث أنك كنت فوق قمَّة جبل كيف لا تقدر أن تصلِّي؟
أوضح مخلِّصنا كذلك كيف أن الله يعرف إرادة القلب والفكر، كما قال الرب: "أبوكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" (مت ٦: ٨).
وكما كتب أيضًا في إشعياء النبي: "ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلَّمون أنا أسمع" (إش ٦٥: ٢٤). مرَّة أخرى يقول أشعياء بخصوص الأشرار: "فحين تبسطون أيديكم أستر عينيّ عنكم وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع" (إش ١: ١٥). كما قال حزقيال النبي: "إن صرخوا في أذنيّ بصوت عال لا أسمعهم" (حز ٨: ١٨). قال هذا عن الصلاة الغاشة غير المقبولة، اِسمع لكل كلمة بتمييز، وتمسَّك بمعناها[١٢١].

إن البدايات الخارجية، تقودنا الآن إلى المعركة التى تدور رحاها فى الأعماق. مثلما يحدث حينما يقوم الواحد منا بتقشير بصلة، فإنه ينزع طبقة بعد طبقة، إلى أن ينكشف

[117] Monast. Cap 1.

[١١٨] تفسير المزمور ٣٤ (٣٣).

[119] On Prayer, 20:2.
[120] Hymns on Faith, 20:6.
[121] Demonstrations, 4:10 (On Prayer).

القلب الداخلى العميق الذى منه يحدث النمو حتى يصل إلى النور. هكذا، فإنك هناك فى مخدع نفسك العميق جدًا، ستلمح المخدع السماوى، لأنهما واحد بل هما الشئ نفسه، كما يقول مار اسحق السريانى[١٢٢]

ويقول الاب ليف جيليه: والصلاة الفردية لا تتألف من فقرات مأخوذة عن القواعد الطقسية يتلوها الشخص في خلوته بل هى بالأحرى كلمات مختارة ينطق بها الإنسان من تلقاء ذاته بكمال حريته وفقًا لظروف ساعته. وقد تكون دعاء أو مناجاة بدون كلمات. وهذا النوع من الصلاة جرى عليه ومارسه معظم القديسين. وكما أنه لا يمكن لنا أن نخلص الود للأصدقاء إن لم نتحدث معهم بصراحة بتمام الحرية والدالة، فكذلك من الصعب توطيد الألفة بيننا وبين خالقنا إن لم نخاطبه بكلمات اخترناها نحن بأنفسنا وإن لم نفتح آذاننا الداخلية لسماع ما يريد أن يقوله لنا جوابًا عنها[١٢٣].

وعن الدخول الي عمق هذه الصلاة يتحدث القديس مقاريوس قائلاً: قد يدخل الإنسان (إلى المخدع) ويركع، ويمتلئ قلبه بالحرارة الإلهية، وتفرح نفسه مع الرب كما تفرح العروس مع عريسها حسب كلمة إشعياء النبى الذى يقول "*وكفرح العريس مع العروس يفرح بك إلهك*" (إش٦٢:٥) وقد يحدث أن هذا الشخص الذى يكون مشغولا النهار كله يعطى نفسه للصلاة لمدة ساعة، ويخطف الإنسان الباطن فى الصلاة إلى العمق الذى ليس له قرار، عمق ذلك العالم الآخر، وهو فى حالة عظيمة حتى أن عقله كله يتغرّب، إذ يرفع وينقل وينفصل مبتعدًا عن الأشياء الأرضية. وفى أثناء هذه الفترة تحصل له حالة نسيان للاهتمامات والتفكير الأرضى. لأن أفكاره تكون مملوءة ومأسورة بالأمور الإلهية السماوية، والأشياء التى لا نهاية لها والتى تفوق الإدراك، الأشياء العجيبة الأكيدة التى لا يستطيع لسان بشرّى أن يُعبّر عنها، حتى أنه يصلّى ويقول فى تلك الساعة "*يا ليت نفسى تخرج مع صلاتى!*"[١٢٤].

[١٢٢] تيتو كولياندر، طريق النساك، ص ٤٤
[١٢٣] عن مقال الصلاة الفرديه
[١٢٤] عظة ٨: ١

الصلاة و التوبة

يسوع في تجسده جمع البشرية كلها في ذاته فأعطاها ما له: سُكني الروح، الكهنوت، الملوكية، وقبلهم جميعاً البنوة لله. فبالمسيح صرنا كهنة لله نقدم لا ذبائح حيوانية وقتية بالية، بل نقدم قلوبنا التي يريدها الله (أم ٢٣: ٢٦)، وذبائح الحمد والتسبيح (مز ٥٠: ٢٣ ، عب ١٣: ١٥)، ونسكب لادماء تيوس وعجول، بل سكيب النفس امامه –ككاهن العهد القديم– حاملين خطيتنا وخطايا الشعب امامه معلنين توجهنا نحوه تاركين عار الخطيه، وهو بدوره قد غفرها لنا من قبل في ذبيحة الإبن الوحيد الذي حمل خطايانا ومات عوضاً عنا. ولهذا يقول ذهبي الفم: [حين يقول "في السماوات" لا يقول ذلك وكأنه يغلق على الله هناك، بل ليرفع من يصلي من مستوى الأرض إلى فوق، ليثبته في الأعالي وفي المساكن الفوقانية. وحتى يعلمنا أكثر من ذلك، ليجعل صلاتنا عامة نيابة عن إخوتنا أيضًا. لأنه لم يقل: "أبي الذي في السماوات" بل "أبانا" رافعًا توسلاته نيابة عن الجميع، غير مهتم بطلباته هو فقط، بل بخير جاره في كل مكان[١٢٥].]

فالله لا يبدأ أن يعطينا الغفران كهبة خارجة عنه لاجل اننا نتقدم له بالتوبة، بل الله قد غفر لنا خطايانا منذ الازل في دم الابن الوحيد (عب ٩: ١٤)، بل إن كل نص كتابي عن التوبة يتحدث علي أسبقية غفران الله للخاطئ:
+ قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ. ارْجِعْ إِلَيَّ لأَنِّي فَدَيْتُكَ.. اش ٤٤: ٢٢
+ أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ.. ٢كو ٥: ١٩
+ وفي مثل الإبن الضال يقول الكتاب: وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ.. لو ١٥: ٢٠
وهكذا هنا نري الله غافر الذنب مُقدماً علي حساب الإبن الوحيد ومُعطينا الغفران كهبة مجانية لاجل مراحمه لا لاجل برنا، ونحن فقط بتوبتنا ندخل في بر الله ونقبل غفرانه، او نظل مبتعدين عنه رافضين لمغفرته وتبقي خطيتنا معنا للهلاك..

فيقول القديس كبريانوس[١٢٦]: فعلينا أن نسأل ونتضرَّع، نحن الذين تقدَّسنا في المعموديَّة، أن نُكَمِّل فيما ابتدأناه من حياة القداسة، ونحن نطلب من أجل هذا يوميًا، لأنَّنا في حاجة لتقديس يومي، حتى نغتسل من خطايانا بالتقديس المستمر نحن الذين نخطئ يوميًا. والرسول يخبرنا بماهيَّة ذلك التقديس الذي ننناله بلطف اللَّه عندما يقول "لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طمَّاعون ولا سكِّيرون ولا شتَّامون ولا خاطفون يرثون ملكوت اللَّه وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدَّستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو٦: ٩-١١) فهو يقول أنَّنا نُقدَّس باسم الرب يسوع وبروح إلهنا. نحن نصلِّي أن يثبت هذا التقديس فينا، فإذ حدَّر الرب الديَّان الرجل الذي شفاه وأقامه من مرضه ألاَّ يخطئ أيضاً لئلاَّ يكون له أشرّ[١٢٧].

و يقول القديس ماراسحق: الصلاة هي أمر موضوع بين النفسانية والروحانية، كشيء متوسط ضابط للسيرتين ومحركاً إياهما. فبها يكمل عمل التوبة الذي هو ندم النفس والحزن، وبها

[١٢٥] صلاة ربنا يسوع المسيح علي الجبل، ص ٨٥
[١٢٦] الصلاة الربانية، ١٢
[١٢٧] (يو ٥: ١٤) المقصود هنا هو مريض بركة بيت حسدا، الذي كان مفلوجا منذ ثمان وثلاثين عاما فشفاه المسيح وأقامه من مرضه.

أيضاً تتحرك النفس بحركات تفوق سائر الحركات الجسدانية والنفسانية، وهذا هو ما يسميه الآباء «التدبير الروحاني»، والدخول إليه يُعطى إنعاماً من الله وليس من حركة أو استعداد أو إرادة. فالذي يتهاون في الصلاة ويظن أن له باباً آخر للتوبة هو مخدوع من الشياطين[١٢٨].

و يقول ايضاً: الذي يتهاون بالصلاة ويقول إن له باباً آخر للتوبة فهو مسكن للشياطين. والذي لا يداوم قراءة الكتب فهو يسير في التيه؛ لأنه إذا أخطأ لا يحس[١٢٩].

يقول القديس اغسطينوس: إذ كان يحثّهم على الصلاة أنهى حديثه بقوله: "وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم". إن كان يليق بالإنسان أن يصلّي ليُخرج الشيطان من آخر، فكم بالأولى يليق به أن يُصلّي ليخرج منه طمعه وسكره وترفهه ونجاسته! كم من الأمور قاطنة في الإنسان لو بقيت فيه لا يُقبل في ملكوت السماوات[١٣٠]!

ويقول الاب متي المسكين: الصلاة هي قوة الحياة من الموت، بإعتبار ان الخطيئة هي الموت و الصلاة هي التشفع لغفران الخطايا[١٣١].

ويقول القديس إغناطيوس الانطاكي: بالصلاة من أجل الآخرين: صلّوا بلا انقطاع من أجل الآخرين فإنّه يُرجى فيهم التوبة ليبلغوا إلى الله[١٣٢].

ويقول أيضاً: إن الذين اعتمدوا، وبعد خروجهم من جرن المعموديَّة انتقلوا من العالم في الحال، هؤلاء تركوا العالم وهم بلا خطيَّة، وأما من اعتمد، وبقي في هذه الحياة، فإنَّه يرتكب نجاسات بسبب ضعفه الجسدي. وبالرغم من أن ما يرتكبه من نجاسات لا يؤدِّي إلى غرق سفينة حياته، إلاَّ أنَّها تحتاج إلى مضخَّة تنزح هذه النجاسات التي دخلت السفينة لئلاَّ يؤدِّي دخولها شيئًا فشيئًا إلى غرق السفينة. وأما المضخَّة فهي الصلاة، ولكن علينا أن نصنع الإحسان أيضًا مع الصلاة. فعندما نستخدم المضخَّة لنزح ما بالسفينة، نستخدم أصواتنا وأيدينا. ونحن أيضًا نستخدم أصواتنا عندما نصلِّي قائلين: "أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا" ونعمل بأيدينا عندما "نكسر للجائع خبزًا وندخل المساكين التائهين إلى بيوتنا" (أنظر إش ٥٨: ٧). اصنع إحسانًا في قلب الفقير فيشفع فيك أمام الرب[١٣٣].
و يكمل قائلاً: ففي "جرن الولادة الجديدة"، ننال مغفرة جميع خطايانا ومع ذلك فنحن نُساق إلى ضيقات عظيمة ما لم ننل المغفرة اليوميَّة بهذه الطلبة المقدَّسة. فالصلاة والإحسان يرفعان الخطايا[١٣٤].

ويكمل: تتحصن ضد الخطية بالصلاة. عندما يريد الإنسان ما هو شر ويرتكب خطية، فإن إرادته تُخدع. يلزمه أن يتحصن ضد مثل هذا الخداع. إن كان لا يمكن مقاومته (الخداع) فلا توجد خطية. إن كان يمكن مقاومته ولكنها لم تخضع له. فلا توجد خطية.
مهما كان علة هذا الخداع فبالتأكيد يمكن مقاومته إذ توجد خطايا مرتكبة. هذا يعني أنه كان يمكن مقاومتها ولم يحدث ذلك. الآن، لهذا السبب نصلي طالبين العون: "لا تخضعنا

---

[١٢٨] الميمر٢: ١٥
[١٢٩] الميمر ٢: ٤٢
[130] Ser. on N. T. 30:3.
[١٣١] توجيهات في الصلاة، ص ٢٩
[132] Ephes. 10:1.
[١٣٣] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ٢٧
[١٣٤] المرجع السابق، ص ٢٨

للتجربة". ما كنا نطلب العون لو أننا فرضنا أن المقاومة مستحيلة. التحصن ضد الخطية ممكن، ولكن فقط بواسطة عون ذاك الذي لا يُخدع[١٣٥].

هكذا بالصلاة تلتصق النفس بالله، فتحمل نعمة لتقديس الجسد وخضوعه لعمل الله، فالصلاة لازمة لحفظ الإنسان من الخطية. وفي خطاب أرسله القديس أغسطينوس مع بعض أصدقائه معالجًا هرطقة بيلاجيوس كتب:
بالرغم من حرية الإرادة التي تُستخدم في الامتناع عن الخطية، أي عدم ارتكاب خطية، إلا أن قوتها ليست فعّالة ما لم تتل عونًا يسندها من ضعفها. لذلك فإن الصلاة الربانية نفسها هي أكثر الشهادات وضوحًا عن النعمة (حيث نطلب: "لا تدخلنا في تجربة")[١٣٦].

ويقول الاب ليف جيليه: للصلاة الفردية ميّزة ذات قيمة، هى أنها تسطيع أن تقاوم الخطيئة مقاومة فعّالة مثمرة. ذلك أنه كثيرًا ما يحصل أن الخاطئ الذي مازال غائصًا في حمأة الخطيئة يمارس الصلوات الطقسية، متسترًا، بها محتميًا وراء جدار إحساسه بأن الصلاة الطقسية ليست صلاته هو. وبالعكس فإنه من المؤكد أن الاعتياد على الخطيئة لا يمكن أن يأتلف زمنًا طويلاً مع ممارسة الصلاة الفردية وخصوصًا إذا جرت في كل يوم. ذلك لأن الإنسان في هذه الحالة لا مفر أمامه من أحد أمرين. الأمر الأول أن الخاطئ الذي لا يريد أن ينفصل عن خطيئته يجد نفسه في حال مزعجة بتفرسه في كل يوم بوجه ربه محتكًا به احتكاكًا ذاتيًا تغلب عليه الدالة والألفة. ففي هذه الحالة يفضل الانفصال وقطع هذا الوصال فيترك الصلاة الفردية ويهجرها لأن ممارستها تصبح عبئًا ثقيلاً عليه. والأمر الثاني هو أن الألم الكاوي الذي يرافق اتصال الخاطئ بقداسة الله المحرقة في الصلاة الفردية يحمل هذا الخاطئ على الهرب من خطيئته والفرار بعيدًا عنها. وفي الحالين فإن الصلاة الفردية تكون مهمتها التأثير تأثيرًا حادًا جدًا فيقذف الخاطئ الخطيئة ويلفظها لفظ النواة وكذلك يختفي من الميدان واحد من الاثنين. وبالعكس فإنه من السهل على الخاطئ أن يشترك في صلاة الجماعة لا بل أن يرافقها عمليًا في الكنيسة ذلك لأن النفس الخاطئة اعتادت أن تقف موقفًا غامضًا ذا أثر مخدّر في الظاهر وهو موقف واضح ــ غامض خطر. أما الصلاة الفردية فإنها تأتي لتلقي على هذا الموقف الغامض نورًا وهاجًا بحيث لا تستطيع النفس الإفلات من أشعة الله الساطعة الكاشفة[١٣٧].

ويقول القديس كبريانوس: إن كان قد تعب وسهر وصلى من أجلنا ومن أجل خطايانا، فكم بالحري يلزمنا نحن أن نصلي على الدوام، نصلي ونتوسل إلى الرب نفسه وخلاله لنرضي الآب. لنا الرب يسوع المسيح إلهنا محامٍ وشفيع من أجل خطايانا، إن كنا نتوب عن خطايانا الماضيّة ونعترف مدركين خطايانا التي بها عصينا الرب، وننشغل بالسلوك في طرقه ومخافة وصاياه[١٣٨].

---

[135] On Ps. 56:5.
[136] Letter 177:4.

[١٣٧] عن مقال الصلاة الفرديه

[138] Ep.7: 6.

الصلاة كل حين

" الأمر الأساسى هو أن تقف أمام الله مع وضع العقل في القلب، وأن تستمر في المثول أمامه بلا انقطاع نهارًا وليلاً، حتى نهاية الحياة". هذا ما يقوله القديس ثيوفان الناسك.
في هذا التعريف المختصر للعبادة الذى يتصف أيضًا ببعد النظر، يؤكد القديس ثيوفان على ثلاثة أمور:
+ الأول، أن الجوهر الأساسى للعبادة: هو المثول أو الوقوف أمام الله؛
+ الثانى، الملكات التى يقدم بها الشخص العبادة هى: مع وضع العقل في القلب؛
+ الثالث، الوقت التى تكون فيه العبادة مناسبة هو: بلا انقطاع نهارًا وليلاً حتى نهاية الحياة[١٣٩].

وفي تعريف القديس ثيوفان: أن تعبد هو أن تقف قدام الله بلا انقطاع نهارًا وليلاً حتى نهاية الحياة. يقول القديس بولس: "*صلوا بلا انقطاع*" (١تس٥:١٧). الصلاة والعبادة لا ينبغى أن تكون مجرد نشاط من بين أنشطة أخرى، بل هى نشاط وجودنا بأكمله. كل ما نفعله فنحن نفعله أمام عينى الله: فوضع الوقوف قدام الله إذن لا يجب أن ينحصر في أوقات وأماكن مخصصة. أى لا ينحصر في الأوقات التى "نقول فيها صلواتنا" في البيت أو حينما "نذهب إلى الكنيسة"، بل ينبغى أن يكون موقفًا شاملاً تمامًا، بحيث يحتضن كل شئ وكل لحظة. يجب أن نسعى لكى نجعل كياننا كله يصير في حالة فعل عبادة مستمرة، يصير تمجيدًا غير منقطع.

لا ينبغى استبعاد أى شئ على أنه دنيوى بحيث لا يمكن إصلاحه، أو على أنه غير ممكن تحويله إلى عبادة. يقول الأب ألكسندر شميمان عن حق: [المسيحى هو ذلك الشخص الذى حيثما يتطلع فإنه يجد المسيح، ويفرح به][١٤٠]. وحسب كلمات منسوبة إلى "أقوال يسوع" [ارفع الحجر وسوف تجدنى هناك، التصق بالخشب وأنا موجود هناك][١٤١]. ويسأل توماس تراهيرن: [هل تستطيع أن تفرح كثيرًا بأعمال آبائك؟]، الله نفسه موجود في كل شئ. بعض الأشياء صغيرة من الخارج وخشنة ومألوفة، ولكنى أتذكر الوقت حينما كان غبار الشوارع ثمينًا كالذهب في عينى طفلى، والآن فإن هذه الأشياء هى ثمينة جدًا في عينى العقل][١٤٢]. أن تعبد هو أن ترى الله في كل شئ، هو أن تحتضن العالم كله وتعيد تقديمه إلى الله بفرح.

إذن فالصلاة والعبادة تستمران بلا انقطاع نهارًا وليلاً بمعنى أنهما جزء من كياننا، ليسا شيئًا نفعله أو نقوله أو نفكر فيه، بل هما شئ نكونه. يقول القديس غريغوريوس النزينزى: "تذكر الله أكثر مما تتنفس" (عظة٢٧:٤). الصلاة بالنسبة لنا هى ضرورية جدًا وجزء لا يتجزأ من أنفسنا، أكثر من نظام تنفسنا المتواتر أو نظام ضربات قلبنا. نحن خُلِقنا لنصلى. الصلاة هى طبيعتنا الحقيقية. وينبغى أن يتحول كل

[١٣٩] العباده الارثوذكسيه ، الاب كاليستوس وير، ص ٧
[١٤٠] لأجل حياة العالم، الاب الكسندر شيميمن، ص ١١٣
[١٤١] أقوال يسوع ، أكسفورد ١٩٩٣ ص ١٣٩
[١٤٢] توماس تراهيرن. " أشعار وتشكرات "، أكسفورد ١٩٥٨، ١٣:١

شئ إلى صلاة. يقول بول افدوكيموف: [في الكاتدرائية الضخمة جدًا التى هى كون الله، فإن كل شخص سواء كان عالمًا أو عاملاً يدويًا، إنما هو مدعو أن يعمل ككاهن لحياته (أو حياتها كلها) ــ هو مدعو أن يأخذ كل ما هو إنسانى، وأن يحوله إلى تقدمة وإلى ترنيمة تمجيد][١٤٣]. ويقول هو نفسه في كتاب آخر: [الصورة المتكررة كثيرًا التى نجدها في السراديب هى صورة امرأة تصلى، هى الأورانز Orans، وهى تمثل الموقف الحقيقى الوحيد للنفس الإنسانية. لا يكفى أن نقول صلوات: ينبغى أن "نكون صلاة"، صلاة متجسدة. لا يكفى أن تكون لنا لحظات تسبيح. كل الحياة، كل فعل، كل إيماءة، حتى ابتسامة الوجه البشرى ينبغى أن تصير تسبحة تعبد، أن تصير تقدمة، أن تصير صلاة. ينبغى للواحد منا أن يقدم ليس ما يملكه، بل أن يقدم نفسه[١٤٤]][١٤٥].

"*صلوا بلا انقطاع*" (١تس٥:١٧): هذه الوصية القصيرة والمشدّدة التي أوصَى الرسول بولس بها أهل تسالونيكى أثرت تأثيرًا حاسمًا على روح الرهبنة الشرقية الأرثوذكسية. فمنذ القرن الرابع فصاعدًا ترسخ في التقليد الرهبانى الشرقى، الفكرة بأن الصلاة ليست مجرد نشاط قاصر على لحظات معينة من اليوم، بل أنها ينبغى أن تستمر بلا انقطاع طوال حياة الراهب أو الراهبة. وهذه النقطة يعبر عنها باختصار أحد "أقوال آباء البرية": الراهب الذي يصلى فقط حينما يقف للصلاة هو في الحقيقة لا يصلى بالمرة[١٤٦]. ونفس الفكرة يعبر عنها راهب فلسطيني من القرن السابع، (أنطيوخوس من دير القديس سابا)، مقتبسًا كلمات سفر الجامعة (٣:١ــ٧) "*لكل شئ وقت، ولكل أمر تحت السموات وقت. للولادة وقت، وللموت وقت.. للبكاء وقت، وللضحك وقت.. للسكوت وقت وللتكلم وقت*". ويعلّق أنطيوخوس قائلاً: [يوجد وقت مناسب لكل شئ عدا الصلاة: أما الصلاة فالوقت الذي يناسبها هو: كل حين[١٤٧]][١٤٨].

الصلوات القصيره أحد سبل الرهبان لممارسة الصلاه الدائمه:

كان للانبا لوكيوس صلاة قصيرة دائمه يمارسها حتي وهو يعمل من مزمور ٥٠ (٥١) "ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك ومثل كثرة رأفتك أمح إثمي" ، هى فقط واحدة من بين صيغ كثيرة لصلوات الترديد المستمر. فالقديس يوحنا كاسيان ــ الذي استلم تدريبه الرهبانى في مصر ــ يوصى بآية أخرى من المزامير " اللهم التفت إلى معونتى يا رب أسرع وأعنى " (مز٦٩س (٧٠): ١)[١٤٩] . والأنبا أبوللو إذ كان قد أخطأ خطيئة فظيعة في حياته المبكرة ــ فإنه يستعمل مثل لوكيوس عبارة توبة، " قد أخطأت كإنسان، فارحم كإله"[١٥٠]. وفي بعض الأحيان فإن صيغة الصلاة يمكن أن تكون أبسط من ذلك. إذ يعلّم القديس مقاريوس المصرى (الكبير): [لا توجد حاجة إلى الكلام الكثير، بل ارفع يديك وقل: "يارب، كما تريد وكما تعرف أنه الأفضل، ارحمنى". وإذا اشتدت الحرب، فقل "يارب أعنى". وهو يعرف ما هو الأفضل لنا وهو

[١٤٣] افدوكيموف في كتاب " الكنيسة والحوار" باريس ١٩٦٢ ص٣٩.
[١٤٤] العباده الارثوذكسيه ، الاب كاليستوس وير، ص ١٩ : ٢١
[١٤٥] سر الحب لبول افدوكيموف ص ٦٢ معهد فلاديمير نيويورك ١٩٨٥
[١٤٦] أقوال آباء البرية (A.P.A.C 104).
[١٤٧] العباده الارثوذكسيه و الصلاه الدائمه، الاب كاليستوس وير، ص ٢٢

[148] Pandect, Homily 91 (PG 89: 1712B).
[149] Conferences 10.10.
[150] A.P Apollo 2.

رحوم بنا][151]. ولكن من بين كل الصيغ القصيرة التي تستعمل لصلاة الترديد المتواصل، فإن أغناها في المعنى وأكثرها استعمالاً طوال القرون هى بلا شك، "صلاة يسوع": "يا ربى يسوع المسيح ابن الله ارحمنى". وقد أضيفت إليها في الممارسة الأرثوذكسية الحديثة عبارة " أنا الخاطئ".

أمامنا الآن إذن، طريقة لتتميم وصية " *صلوا بلا انقطاع*". فالصلاة يمكن أن تقترن بالعمل. فالراهب يختار عبارة قصيرة ــ إما " صلاة يسوع " أو غيرها، بحسب رغبته وبإرشاد أبيه الروحى ــ ويحاول أن يردد هذه العبارة في كل مكان وأيًا كان العمل الذي يعمله. (أو ربما يرددها فقط فى أوقات محددة، إذا كان هذا هو توجيه أبيه الروحى). وبهذه الطريقة فهو يسعى أن يحمل صلاته معه خلال كل مهامه اليومية، وهو بذلك يقيم في عالمين في نفس الوقت، العالم الخارجى والعالم الداخلى. وكما يعبر عن ذلك القديس ثيوفان الناسك: [اليدان تعملان، والذهن والقلب مع الله][152]. إذن فالراهب لديه نوعان من "النشاط" هما: عمله المنظور سواء كان يدويًا أو عقليًا، وهذا ينبغى أن يقوم به على أفضل ما يستطيع لأجل مجد الله؛ والعمل الآخر، هو "نشاطه الداخلى". يقول آباء البرية إن [الشخص ينبغى أن يكون له نشاط في داخله][153]. هذا النشاط الداخلى يُسمى أيضًا "الهذيذ الداخلى"، أو بكل بساطة " تذكر الله ".

وبكلمات عظات القديس مقاريوس:

[المسيحى ينبغى أن يذكر الله في قلبه في كل الأوقات... فينبغى أن يحب الرب ليس حين يذهب إلى مكان العبادة فقط، بل في السير والكلام والأكل يحتفظ بذكر الله ويحبه بكل قلبه.][154]. مثل هذه الأفكار ليست قاصرة طبعًا على الشرق المسيحى، والمثال الغربى الواضح لهذا هو الأخ لورانس في "ممارسته الوجود في حضرة الله" وسط واجباته في المطبخ[155].

يقول القديس باسيليوس: في استطاعتنا الوصول إلى قوَّة الصلاة ودوامها لو شئنا. وهي ليست شيئًا نستحدثه أو نخلقه خلقًا، وإنَّما يمكن ممارسته في كل عمل نقوم به مدى الحياة وفي كل لحظة من لحظاتها. الصلاة هي التصاق بالله في جميع لحظات الحياة ومواقفها، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب[156].

ويقول ايضاً: عندما تجلس لتتناول الطعام لتقوت جسمك، لا تترك المائدة قبل أن تشبع احتياجاتك إلا نادرًا، لسبب طارئ مستعجل، ولا تكن مستعدًا لفعل هذا. كم بالأكثر يلزمك أن تبقى تتمتع بالقوت الروحي وتقوي نفسك بالصلاة، لأن النفس أسمى من الجسم، والسماء أعلى من الأرض، والسماوات فوق الأرضيات. النفس هي أيقونة السماء، لأن الرب يسكن فيها، وأما الجسد فصورة الأرض، التي يعيش عليها الناس القابلين للموت والحيوانات غير العاقلة. نظم احتياجات جسمك بما يتوافق مع ساعات الصلاة، ولتكن مستعدًا أن توقف المجادلات التي

---

[151] A.P, alphabetical collection, Macarius the great 19.
[152] Igamen Chariton, The Art of Prayer, 92.
[153] AP anonymous collection 241
[154] عظات القديس مقاريوس الكبير عظة ٣:٤٣ ترجمة د. نصحى عبد الشهيد طبعة ثالثة ٢٠٠١، والطبعة الرابعة للعظات نفسها يناير ٢٠٠٥.
[155] الاب كاليستوس وير، العباده الارثوذكسيه و الصلاه الدائمه، ص ٢٨ : ٣٠
[156] عظة ٢٩٢.

تسحبك بعيدًا عن حفظ قانونك. فإن هذا هو الطريق الذي به تجعلنا الشياطين نتغيب في وقت الصلاة بحجة أنه يوجد سبب لائق لغيابنا، وبهذا تسحبنا بما يبدو معقولاً بعيدًا عن الصلاة المنقذة. لا تقدم أعذارًا، قائلاً: "آه، رأسي! آه، معدتي!"، مدعيًا بوجود أسباب غير منظورة لألم لا وجود له... من أجل نوال راحة. بالحري ثابر على الصلاة السرية فإن الله يراها في الخفاء، ويجازيك عنها علانية (مت ٦: ١٨)[١٥٧].

ويقول ايضاً: أقول إنه يلزمنا ألا نظن أن صلاتنا تتكون فقط من مقاطع (كلامية)، بل تكمن قوة الصلاة بالحري في غاية نفوسنا، وفي عمل الفضيلة التي لها تأثيرها على كل جزءٍ وفي كل لحظةٍ من لحظات حياتنا. يُقال: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١). إذ تأخذ مكانك على المائدة صل، وإذ ترفع الخبز قدم شكرًا للواهب. عندما تسند ضعف جسمك بخمرٍ تذكر الذي يهبك هذه العطية، لكي يفرح قلبك ويهب راحة لضعفك. هل عبر عنك احتياجك إلي الطعام؟ لا تسمح للتفكير في الرحيم واهب الخيرات أن يعبر عنك أيضًا. إذ ترتدي ثوبك أشكر ذاك الذي وهبك إياه. إذ تطّوق ثوبك حولك لتشعر بحبك العظيم لله، الذي يهبنا الملابس المناسبة لنا شتاءً وصيفًا، لكي تغطي ما هو غير لائق وتحفظ حياتنا.
هل عبر اليوم؟ أشكر ذاك الذي قدم لنا الشمس لخدمة عملنا النهاري، ويهبنا نارًا لكي تنير الليل، وتخدم احتياجاتنا الأخرى في الحياة. ليت الليل أيضًا يوحي لنا بما يدفعنا للصلاة. عندما تتطلع إلى السماء وترى جمال النجوم، صل إلى رب كل الأشياء المنظورة، خالق المسكونة الذي بحكمة صنع الكل (مز ٢٤: ١٠٤).
وعندما ترى كل الطبيعة تغُط في النوم، مرة أخرى أسجد لذاك الذي حتى بغير إرادتنا يعتقنا من ضغط العمل المستمر، وبفترة راحة صغيرة يردنا مرة أخرى إلي نشاط قوتنا.
لا تسمح لليل بأكمله إن يكون للنوم، لا تسمح لنصف عمرك أن ينقضي بلا فائدة في نومٍ ببلادة وسباتٍ. بل قسم وقت الليل بين النوم والصلاة. وليكن نومك الخفيف ذاته تداريب للتقوى. فإن أحلامنا أثناء النوم غالبًا ما تكون انعكاسات لأفكارنا في النهار[١٥٨].

و يقول ايضاً: كما يكون عليه سلوكنا وسعينا هكذا تلتزم أحلامنا، بهذا تصلي بلا انقطاع، ليس بكلمات بل بكل سلوك حياتك، هكذا تتحد بالله فتصير حياتك صلاة ممتدة لا تنقطع[١٥٩].
يقول القديس باسيليوس إنه يمكن للراهب بصلواته وتأملاته الدائمة [أن يتمثل وهو على الأرض بطغمات الملائكة[١٦٠].]

ويقول الاب ثيئوفان الناسك: أذكر أن القدِّيس باسيليوس الكبير قد أجاب على السؤال: كيف استطاع الرسل أن يصلُّوا بلا انقطاع؟ قائلاً إنهم في كل شيءٍ كانوا يفعلونه يفكّرون في الله، عائشين في تكريسٍ دائم لله. بهذا الحال الروحي كانت صلاتهم التي بلا انقطاع[١٦١].

ويقول القديس امبرسيوس: هل بقوله: صلوا بلا انقطاع يعني أننا نحني ركبنا ونطرح أجسادنا أو نبسط أيدينا بلا انقطاع؟ لو كانت الصلاة تعني هذا فإنني أظن أننا لا نقدر على الصلاة بلا

[157] On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 28-29).
[158] Cf.. Reg. Brev. 32.
[159] Hom. in Martyrem Julittam 3-4
[160] Epistle 2:2.
[161] Timothy Ware: The Art of Prayer, 1966, p 80-83.

انقطاع. وإنما يوجد نوع آخر داخلي للصلاة بلا انقطاع، وهي رغبة القلب إلى أمر يعمله... فإن كنت مشتاقا إلى السبت (الراحة الأبدية) فأنت لا تكف عن الصلاة. إن أردت ألاَّ تمتنع عن الصلاة، فلا تكف عن الشوق إليها، فإن استمرار الاشتياق إنما هو استمرار للصلاة[١٦٢].

ويقول القديس كيرلس السكندري: كتب بولس إلى أهل تسالونيكي: "صلوا بلا انقطاع" (١ تس ٥: ١٧). وفي رسائل أخرى يوصي: "مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح" (أف ٦: ١٨)، "واظبوا على الصلاة ساهرين فيها" (كو ٤: ٢)، "مواظبين على الصلاة" (رو ١٢: ١٢). وأيضًا يعلمنا المخلص عن الحاجة إلى الصلاة الدائمة بمثابرة خلال مثل المرأة التي بلجاجتها غلبت القاضي الظالم بسؤالها المستمر. من هذا كله يتضح أن الصلاة الدائمة ليست أمرًا عارضًا بل سمة أساسية للروح المسيحي. حياة المسيحي – بحسب الرسول – مختفية في الله بالمسيح (كو ٣: ٣)، لذا وجب على المسيحي أن يعيش في الله على الدوام بكل فكره ومشاعره؛ وإذ يفعل هذا إنما يصلي بلا انقطاع!
لقد تعلمنا أيضًا أن كل مسيحي هو "هيكل الله" فيه "يسكن روح الله" (١كو ٣: ١٦؛ رو ٨: ٩). هذا الروح دائما حال فيه، ويشفع فيه، مصليًا في داخله "بأنات لا يُنطق بها" (رو ٨: ٢٦)، وهكذا يعلمه كيف يصلي بلا انقطاع.

وعن الصلاة كل حين بدون ملل فى مثل " القاضى والأرملة " يقول إن المسيح يعلمنا بواسطة هذا المثل ألا نكون متكاسلين فى الصلاة بل بالحرى أن نفرح لسبب الحرية التى منحها الله لنا فى الاقتراب منه، إذ يريدنا أن نتحدث معه كأبناء مع أبيهم، وأن هذا امتياز عظيم وكرامة حقيقية جديرة بأن نربحها . ويقول إن المسيح هو وسيط لنا فى الصلاة وهو يمنحنا مع الآب استجابة لكل توسلاتنا ويشير إلى وعد المسيح " *إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمى ، اطلبوا تأخذوا* " (يو١٦:٢٤)، " *لأنه هو وسيطنا وكفارتنا ومعزينا والواهب لكل ما نطلب ... فمن واجبنا أن نصلى بلا انقطاع* " (١تس٥:١٧). ويقول إن الطلب ينبغى أن يكون بإيمان، ويقتبس (يع١،٧:٦). ويقول إنه إن كانت لجاجة المرأة المظلومة قد تغلبت على القاضى الظالم [حتى أنصفها رغمًا عن إرادته فكيف ، من يحب الرحمة ويبغض الإثم ويقدم المعونة دائمًا لمن يحبونه ، كيف لا يقبل أولئك المتقدمين إليه نهارًا وليلاً ولا ينصفهم، إذ هم مختاروه [١٦٣]].

[162] On Ps. 38: 13.

[١٦٣] أنظر لوقا جـ٤ عظة ١١٩ على لوقا١٨:١ــ٨ ص١٥٠،١٤٩

كيف أصلي؟ وماذا اقول؟

يقول الاب تيتو كولياندر: الصلاة عمل، فأن تصلى هذا معناه أنك تكون فعالاً جدًا. لأن كل نوع من الفاعلية والتأثير يحتاج إلى ممارسة. فلكى تتعلم لغة جديدة ينبغى أن تتدرب على التكلم بها، وهكذا فإنك بممارسة الصلاة تتعلم كيف تصلى[١٦٤].
ويكمل: والقلب البشرى يفوق فى حساسيته الآلة الموسيقية بما لا يُقاس: " اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم" (يع٤:٨)، فعلينا نحن أن نبدأ. فإن خطونا خطوة واحدة نحو الرب فإنه يخطو نحونا عشر خطوات ــ فهو الذى تحنن وركض وعانق الابن الضال حينما رآه آتيًا على بُعد (انظر لو١٥:٢٠).

وأحيانًا ينبغى عليك أن تتخذ الخطوات الأولى ــ حتى ــ ولو كانت خطوات مترددة ــ وذلك إن أردت أن تقترب إلى الله حقًا. لا تقلق بسبب بدايتك غير المتقنة ولا تستسلم للخجل أو التردد، ولا تبالى بسخرية الأعداء، الذين يحاولون أن يقنعوك أنك تتصرف بطريقة مضحكة وأن كل سعيك ليس إلاّ خيال أطفال لا معنى له.

واعلم يقينًا أن العدو لا يخاف شيئًا قدر خوفه من الصلاة. إن رغبة الطفل فى القراءة تزداد كلما تعلم أن تقرأ، وكلما تعمق شخص ما فى أى لغة، كلما أتقن الكلام بها وازداد حبه لها. فالمتعة تزداد بازدياد الكفاءة. والكفاءة تأتى بالممارسة. والممارسة تصبح أكثر بهجة كلما زادت الكفاءة.

لا تظن أن الأمر مختلف فيما يخص الصلاة. فلا تنتظر إلهامًا إلهيًا فائقًا قبل أن تبدأ الصلاة. فالإنسان مخلوق للصلاة، تمامًا كما هو مخلوق للكلام والتفكير، ولكن بوجه خاص هو مخلوق للصلاة، لأن " الرب الإله وضع آدم فى جنة عدن ليعملها ويحفظها" (تك٢:١٥). وأين تجد جنة عدن، إن لم تجدها فى قلبك؟.

ومثل آدم، ينبغى أن تبكى أيضًا على جنة عدن التى حُرمت منها بسبب عدم تعففك. لقد كسيت نفسك بأوراق التين وأُليستَ أقمصة من جلد (تك٣:٢١)، التى هى طبيعتك الفاسدة بكل آلامها، وبينك وبين الطريق الضيق المؤدى إلى شجرة الحياة، تقف لهب الشهوات الترابية المُظلمة، والذى يُؤهل " للأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله" (رؤ٢:٧)، هو فقط ذلك الذى يغلب هذه الشهوات.

إن تحقيق مثل هذا الانتصار هو بلا شك أمر صعب! لقد كسر آدم وصية واحدة فقط من وصايا الله، وأنت تكسر جميع الوصايا يوميًا وفى كل ساعة، كما يقول القديس أندراوس أسقف كريت. وفى وضع القساوة هذا والخطية ينبغى أن تصعد صلاتك باستمرار لكى تصل إلى الأعالى.

فالمجرم القاسى غالبًا لا يشعر بذنبه لأنه قاسى القلب. وهكذا الأمر معنا فلا تخف من قساوة قلبك وكثرة خطاياك. فالصلاة سوف تُليّن قلبك تدريجيًا وتطهرك[١٦٥].

[١٦٤] طريق النساك، ص ٥٨، ٥٩

ويقول الاسقف ثيؤفان: لا تظنوا ان عمل الصلاة هو شئ مُعقد وصعب. عندما يُريد الطفر أن يأكل، يذهب إلي أمه ويقول إعطيني لأكل. أي تعقيد في هذا الامر؟ نفس الشئ ينطبق علي الصلاة لله، عندما تتعبكم خطاياكم تعالوا وقولوا: أخطأت يا رب إرحمني. عندما يهزمكم الحزن و الكآبة تعالوا و قولوا: عزني يا رب. متي ضعفت معنوياتكم تعالوا و قولوا: ساعدني يا رب. أفعلوا نفس الشئ في كل أمر. عندما تشعرون بالحاجة تعالوا و قولوا للرب عنها بشكل بسيط[١٦٦].

ويقول الاب ليف جيليه: لهذا كله نقترح على الذين لم يمارسوا الصلاة الفردية حتى الآن أن يهرعوا إليها وأن يدخلوا محرابها في دالة وألفة باجتماع سري متواضع مع مخلّصهم غير مهملين في الوقت نفسه أو مُقلّلين من قدر صلاة الجماعة في الكنيسة، وليصرفوا في كل يوم عشرًا أو عشرين من الدقائق في مثل هذا الاجتماع السري الجميل مع الله. وهكذا تنمو الحياة الروحية فيهم باطراد وتترقى وتتوطد في سلم الكمال بمقدار نمو وارتقاء الصلاة الفردية عندهم. ويجب عليهم أن يكونوا يقظين وحذرين على الدوام لكي تُثمر صلاتهم هذه في أثناء النهار ثمارها، ثمار البر والمحبة، وأن يلتمسوا من الروح القدس أن يلهمهم ويصوغ صلواتهم ويوجهها الوجهة الصالحة لأن الروح القدس هو في الواقع معلّم الصلاة الحقيقي الصالح، وهو الذي يهدينا لمعرفة الله[١٦٧].

ويقول القديس انبا مقار: ينبغى أن نصلى، ليس بحسب أى عادة جسدية، ولا بعادة رفع الصوت والصراخ، ولا بعادة الصمت، أو إحناء الركب. بل ينبغى أن يكون لنا عقل منتبه وبهدوء ورزانة ننتظر الله ونتوقعه، إلى أن يأتى إلينا ويفتقد النفس من خلال كل مخارجها ومسالكها وحواسها. وهكذا فإننا حينئذٍ نكون صامتين حينما ينبغى الصمت، ونصلى بصوت مرتفع حينما ينبغى ذلك، ونصلى بصراخ ما دام العقل مشدودًا بقوة نحو الله. وكما أن الجسد حينما يقوم بأى عمل، فإنه يكون منشغلاً تمامًا بهذا العمل وكل أعضاؤه يساعد بعضها بعضًا، كذلك فلتكن النفس مُقدمةً ومُعطاةً للرب تمامًا بالصلاة والمحبة نحو الرب. ولا تتشتت وتُحمل بواسطة أفكارها، بل تسعى بكل طاقتها وتجمع نفسها مع كل أفكارها مصممة على انتظار المسيح ملازمة إياه.
وهكذا فإنه سيشرق عليها، ويعلّمها الصلاة الحقيقية. معطيًا إياها الصلاة الروحانية النقية، والتى تليق بالله، " والسجود الذى هو بالروح والحق" (يو٤:٢٤)، ولكن كما أن الإنسان الذى يشتغل بالتجارة لا يكتفى بطريقة واحدة للحصول على المكسب بل يمتد بكل طريقة ليضاعف أرباحه، ويزيدها، ويجرّب وسيلة بعد أخرى، ثم يجرى محاولات أخرى، محترسًا فقط مما لا ربح فيه. بل إنه يجرى إلى ما فيه الربح الأكثر، هكذا نحن أيضًا فلنعد أنفسنا بكل مهارة وبكل قدرة على الحركة والنشاط من جميع الجوانب لكى نربح الربح الحقيقى العظيم، أى الله نفسه، الذى يعلّمنا كيف نصلى بالحق. وبهذه الطريقة فإن الرب يحل على النفس ذات القصد الصالح، جاعلاً إياها عرشًا لمجده ويجلس ويستريح عليها. وهذا ما سمعناه من النبى حزقيال عن الخلائق الروحانية التى كانت مربوطة بمركبة الرب. وهو يُظهرها لنا كأنها كلها عيونًا. وبطريقة مشابهة فإن النفس التى تحمل الله أو بالأحرى يحملها الله فإنها تصير كلها عيونًا[١٦٨].

---

[١٦٥] المرجع السابق، ص ٦٢
[١٦٦] الحرارة الروحيه، ص ٧٧
[١٦٧] الصلاة الفرديه، مقال للاب ليف جيليه
[١٦٨] عظة ٣٣: ١

إن كان الله يعلم إحتياجتنا، فلماذا نُصلي؟

الصلاة من الأصل ليست مجرد طلبات، فبحسب ق.ثيئوفان: أن تعبد أو أن تصلى هو أن تقف أمام الله. يمكنك أن تلاحظ هنا اتساع التعريف الذى يعطيه القديس ثيوفان للعبادة. أن تصلى لا يعنى بالضرورة أن تطلب شيئًا من الله، ولا حتى أن تستعمل الكلمات في الصلاة، لأنه كثيرًا ما يكون الانتظار البسيط لله في سكون هو أعمق جميع الصلوات وأكثرها قوة. ولكن سواء كنا نعبد ونصلى بواسطة الكلمات، أو بواسطة أعمال رمزية وسرائرية، أو كنا نصلى في صمت، فإن موقفنا الأساسى هو هو نفسه: نحن واقفون أمام الله[١٦٩].

و يقول القديس إفراهاط: الآن أعرض لكم ظروف الصلاة المختلفة: الطلبة والشكر والتسبيح. في الطلبة يسأل الشخص الرحمة لأجل خطايانا، وفي الشكر تقدِّم الشكر لأبيك السماوي. وفي صلاة التسبيح نسبِّح الله لأجل أعماله.
عندما تكون في الضيق قدِّم طلبة لله.
عندما يعطيك الله عطايا صالحة فلتشكر العاطي.
عندما يتهلَّل ذهنك قدِّم لله التسبيح.
لذلك قدِّم هذه الصلوات بتمييز إلى الله. أُنظر إلى داود عندما كان يقول دائمًا: "في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك" (مز ١١٩: ٦٢). وفي مزمور آخر يقول داود: "هلِّلويا سبِّحوا الرب من السماوات سبِّحوه في الأعالي" (مز ١٤٨: ١). وفي مزمور آخر: "أبارك الرب في كل حين. دائمًا تسبحته في فمي" (مزمور ٣٤: ١)، لذلك لا تستعمل نوعًا واحدًا من الصلاة، ولكن استخدم كل الأنواع في أوقات متفرِّقة[١٧٠].

فالصلاة ليست مجرد طلبات او ماكينة صرافة أذهب عند الحاجة مُحملاً بطلب وفواتير تحتاج تسديدها فأستخدمها لدفع الفواتير فقط. هذا مفهوم مشوه عن معني الصلاة، الصلاة كما قلنا هي تعبير عن علاقة وشوق في صميم كيان الإنسان تجاه الابدية، هي لقاء مع وجه الله، هي الدخول في يسوع بالروح القدس متجهاً نحو عرش الآب، وهي سكيب لكل أحمالا لنفس أمام الله كشخص.
فوضع الصلاة في مُجرد طلبات هو نتاج قصور فهم عن معني الصلاة الحقيقي كلقاء وشركة مع الله ومع كل شخص.

أما إن كان السؤال لماذا أطلب في وقت الصلاة إن كان الله يعرف كل شئ؟
فهذا أمر صحيح، نعم الله يعرف كل شئ وانا لست في حاجة ان اطلب منه شئ في الصلاة، ومع ذلك; فالطلب تعبير كياني عن إحتياج الإنسان لإمور مادية ونفسية وروحية، والله عالم بطبيعتنا وقادر أن يرثي لضعفاتنا ويستمع لإحتياجنا. وبالطلب انا لست فقط أُخطر الله بما أُريد، بل انا اتعهد امامه إن هذا ما أريد وإني أمتلك إرادة كاملة من عمق كياني أن افعل ما يجب فعله للحصول علي هذا الطلب، وقت ان تُتاح لي الفرصة.

[١٦٩] العباده الارثوذكسيه، الاب كاليستوس وير، ص ٧

[170] Demonstrations, 4:17 (On Prayer).

فالطلبة ليست مجرد كلمات بسيطه تُنطق بدون فهم، بل هي تعهد أمام الله أني أريد ان يساعدني الله علي تحقيق هذا الامر و اني سأبذل ما بوسعي لتحقيقه. فقد قال احد الاباء: إن الله لا يُخلصنا رغماً عنا ولا يُخلصنا بدوننا. نعم، فإلهنا ليس إله التواكل و القدرية.. بل إله الشركة الذي يريد قلب الإنسان ومحبته لا إستعباده وإمتهانه.

يقول القديس باسيليوس: كثيرًا ما يسأل البعض لماذا نصلّي؟ هل يجهل الله ما نحتاج إليه؟ أنه بلا شك يعرف ويعطينا بفيض كل الزمنيَّات حتى قبل أن نسألها، لكن يجب علينا أولاً أن نطلب الصالحات وملكوت السماوات، عندئذ ننال ما نرغب لنسأل بإيمانٍ وصبرٍ، نسأل ما هو صالح لنا، ولا نعوق الصلاة بعصيان ضميرنا[١٧١].

ويقول القديس اغسطينوس: لقد نهانا ربَّنا عن كثرة الكلام، حتى لا تُقدَّم له كلمات كثيرة كما لو كنَّا نعلمه بكلامنا. لذلك لا تحتاجون في الصلاة إلى الكلام بل إلى التقوى. "لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" (مت ٦: ٨)، ولئلاَّ يشك أحد فيقول: إن كان الله يعلم ما نحتاج إليه، فما الداعي إلى الصلاة سواء كانت بكلمات كثيرة أو قليلة؟! نعم أنَّه يعلم كل ما نحتاج إليه، ولكنَّه يريدكم أن تصلُّوا حتى يهبكم حسب اشتياقكم فلا تستخفُّوا بعطاياه، ناظرين إلى أنَّه قد وضع فينا هذه الصلاة لتكون أساسًا ونموذجًا لإشتياقاتنا، فلا نطلب شيئًا غير ما ورد فيها[١٧٢].

و يقول القديس مارإسحق: لأننا هناك نقبل حقيقة كل شيء عن الله، ليس عن طبيعته بل عن ترتيب عظمته ومجده الإلهي وحبه لنا، حيث ترتفع كل الحُجُب والأنواع وكل أشكال السياسة والتدبير من أمام العقل، ويتبين لنا أنه ليس لأجل طلباتنا يعطي مواهبه، ولا إنعامه بكيلٍ ومقدار، بل إنما جعل طلبتنا واسطة وزىّ كلامٍ يوصل العقل إلى الطياشة في أزليته ومعرفة اهتمامه بنا[١٧٣].

ويقول الاب تيتو كوليادر: والشخص الذى يريد الاستفادة بأشعة الشمس والهواء، لابد أن يفتح النافذة. ومن الحماقة أن يجلس خلف الستائر المُسدلة ويقول: لا يوجد نور ولا توجد نسمة هواء! هذه الصورة تظهر لك بوضوح كيف تعمل الصلاة. فإن قوة الله، أى نعمته، هى قريبة دومًا من كل إنسان وفى كل مكان، ولكن لا يستطيع الإنسان أن يحصل على نصيبه منها بدون أن يرغب فيها ويسعى إليها[١٧٤].
ويكمل قائلاً: وبدون الصلاة لا يمكنك أبدًا أن تجد ما تسعى إليه. فالصلاة هى البداية وهى أساس كل مسعى نحو الله. والومضة الأولى للنور تبعثها الصلاة، فالصلاة تعطيك التلميحات الأولى لما أنت تسعى إليه، كما أنها توقظ الرغبة فى التقدم وتدعمها[١٧٥].

[171] Const. Mon. 1.

[١٧٢] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ١٢
[١٧٣] الميمر ١: ٤٦
[١٧٤] طريق النساك، ص ٥٨
[١٧٥] المرجع السابق، ٥٩

هل الصلاة الموجهة إلي إقنوم واحد فقط تنحرف عن التعليم القويم؟

لقد علَّمنا أباء الكنيسة أن الله غير منقسم إلي أجزاء، وذلك لأن الطبيعة الإلهية طبيعة بسيطة، ليست مركبة من أجزاء حتي يُمكن أن تنقسم. فكل إقنوم من أقانيم الثالوث هو ليس جزءاً من الله، أو شيئاً في الله، بل هو كل ما هو الله منذ الأزل.

ولهذا علمنا الاباء وبخاصة القديس أثناسيوس إن كل نعمة صالحة وكل هبة إلهية تأتي إلينا هي عن طريق الآب بالإبن في الروح القدس. لإن كل إقنوم من الثالوث القدوس هو الله بكامله وكماله، ولهذا فكل أعمال الله صنعها كل الله وليس جزئاً منه. وكذلك أيضاً كل ما يُقدم إلي الله فهو يُقدم إلي كل الله وليس جزئاً منه لإن الله غير مكون من أجزاء وغير قابل للتقسيم.

كتب القديس سمعان اللاهوتي الجديد، يقول إنّ ابن الله وكلمته هو باب الخلاص، حسب إعلانه ((أنا الباب، إن دخل أحد بي يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى))
(يو ١٠: ٩). فإن كان المسيح هو الباب، كان الأب هو البيت((في بيت أبي منازل كثيرة))
(يو ١٤: ٢). فنحن ندخل إلى لدن الآب بواسطة المسيح. ولكي يُفتح الباب لا بد لنا من المفتاح. والمفتاح هو الروح القدس، لأننا بفعل الروح القدس نعرف الحق. والحق هو المسيح. إنّ الآب قد أرسل ابنه إلى العالم، وابن الله وكلمته يكشف لنا الآب. أما الروح القدس المنبثق من الآب والمرسل بواسطة الإبن فإنه يصوّر المسيح ((في قلوبنا)). وهكذا نعرف الآب بواسطة الإبن في الروح القدس)).

والقديس ماكسيموس المعترف يتحدث كثيراً في كتبه عن الكلمة في تجسداته السرّية. وقد كتب يقول في أحد مؤلفاته إنه كما كانت أقوال الناموس والأنبياء سابقة لحضور الكلمة بالجسد، هكذا حدث حين تجسد ابن الله وكلمته فقد صار بتجسده سابقاً لحضوره الروحي..مؤدَّباً النفوس بأقوال مناسبة لقبول حضوره الإلهي المجيد)).

وبكلام آخر ينبغي أن يتجسد المسيح في داخلنا، وبدون ذلك يتعذر علينا أن نرى مجده في السماوات. غير أنّ تجسد المسيح في داخلنا يصير بمسرّة الآب ومشاركة الروح القدس في الفعل[١٧٦].

والقديس امبرسيوس يقول: من يذكر إسم واحد من الأقانيم فقد ذكر الثالوث، فإذا ذكرت إسم المسيح فأنت ضمناً تُشير إلي الله الآب الذي به الإبن قد مُسح، والإبن نفسه الذي مُسح، والروح القدس الذي تمت به المسحة.. وإذا تكلمت عن الروح فأنت تذكر الله الآب الذي منه ينبثق الروح، وتذكر ايضاً الإبن لإنه روح الإبن[١٧٧].

[١٧٦] عن كتاب أمسية في برية الجبل المُقدس أثوس، للاب ايروثيئوس فلاخوس، عربه عن اليونانيه أ/ جرمانوس لطفي
[177] NPNF, second series, vol. x., p. 99.

ويقول أثناسيوس الرسولي: "الثالوث القدوس المبارك واحد في ذاته بغير انقسام .و عندما يُذكر الآب ، فإن ذلك يتضمن كلمته و الروح القدس الذي هو في الابن . و عندما يُذكر الابن ، فإن الآب هو في الابن و الروح القدس ليس خارج الكلمة . لأنه توجد نعمة واحدة من الآب تتحقق بالابن في الروح القدس ,و توجد طبيعة إلهية واحدة و إله واحد ' ,الذي على الكل و بالكل و في الكل"[١٧٨] .

ويضيف القديس باسيليوس: أن عبادة صورة الله الآب أي الابن هي عبادة تقدم للآب أيضًا، نقول نفس الشيء عن الروح القدس لأنه يعلن في ذاته ألوهية الرب يسوع المسيح. ولذلك السجود للروح القدس هو سجود للآب والابن فهو غير منفصل عنهما. ومن يفصل نفسه عن الروح القدس لا يستطيع أن يسجد للآب والابن ومن يصبح في الروح فلا يوجد ما يمكن أن يفصله عن الله، لأنك لا تقدر أن تفصل النور عن المرئيات كذلك لا يمكن أن ترى صورة الله الغير من المنظور إلا باستنارة الروح. وطالما أنه غير مستطاع لمن يرى الصورة أن يفصلها عن النور لأن النور هو الذي بسبب الرؤية، هكذا بكل يقين نرى "بهاء مجد الله" بأستنارة الروح القدس في رسم الجوهر فالروح يرفعنا لمشاهدة ذاك الذي هو رسم الجوهر والختم (عب١: ٣) فنرى التطابق بين الابن والروح[179].

[١٧٨] *الإيمان بالثالوث – الفكر الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى ، لتوماس ف. تورانس ، دار باناريون ، ص ٣١٨، ٣١٩.*
[١٧٩] *الروح القدس، ترجمة د/ جورج حبيب، مراجعة نيافة الأنبا يؤانس، ٢٦: ٦٤*

إستجابة الصلاة

"فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزًا، أفيعطيه حجرًا؟ أو سمكة، أفيعطيه حيَّة بدل السمكة؟ أو إذ سأله بيضة، أفيعطيه عقربًا؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيِّدة، فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه؟" (لو ١١: ١١-١٣)

يقول القدّيس أغسطينوس: [إن كنّا ونحن أشرار نعرف كيف نعطي أبناءنا ما يسألونه منّا فلا نخدعهم، بل نعطيهم أشياء صالحة ليست منّا بل من الرب، فكم بالأكثر يكون رجاؤنا في الرب أن يعطينا عندما نطلب منه أمورًا صالحة[180]؟]

ويري القديس أغسطينوس أن الله عندما يتمهل علي الطلبة ولا يعطينا الإستجابة الفورية فذلك لكي نقدر قيمة ما قد حصلنا عليه بالصلاة، فما نأخذه سريعاً، نستهين به ونتركه سريعاً، فيقول: إن كان الذي لا يرغب في العطاء (قاضي الظلم لو ١٨: ٢)، قد أعطى بسبب اللجاجة، فكم بالأكثر يعطي ذاك الصالح وحده الذي يحثنا على الطلب منه، والذي لا يُسر عندما نطلب منه؟! قد يبطئ الله في العطاء لكي نُقَدر قيمة الأشياء الصالحة، وليس لعدم رغبته في العطاء. ما نشتاق إلى نواله بجهادٍ نفرح جدًا بنواله، أمّا ما نناله سريعًا فنحسبه شيئًا زهيدًا[181].
وهذا ايضاً رأي باسليوس الكبير إذ يقول: ربَّما يؤخِّر الطلبة عن عمد لكي تضاعف غيرتك ومجيئك إليه، ولكي تعرف ما هي عطيَّة الله، وتحرص عليها بشغفٍ عندما تنالها. ما يناله الإنسان بتعبٍ شديدٍ يجاهد على حفظه لئلاَ بفقده يفقد تعبه أيضًا[182].

تعلمنا الارثوذكسية دائماً أن نضع جميع الامور في يدي الله طالبين لا رغبة خاصة بل فقط تنفيذ مشيئته في حياتنا، فنحن نعرف دائماً أننا محدودون أما هو فكل أمر مكشوف أمامه، وإذ نثق في حكمته ومحبته نطلب أن يستلم الامر و يتدخل فقط بحسب مشيئته.
فيرى القديس أغسطينوس أن سرّ استجابة الله لصلوات داود وإعطاء أذنيه لكلام فمه هو تسليم الأمر بين يدي الله، تاركًا القرار بين يديه، إذ يقول: [أنت مريض، فلا تملي على الطبيب الأدوية التي يختارها لك. إن كان معلم الأمم، بولس الرسول، يقول: "لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي" (رو ٨:٢٦)، فكم بالأكثر يكون حالنا نحن؟!] كما يقول: [ليت المريض لا ينسحب من بين يدي الطبيب، ليته لا يقدم مشورة للطبيب. ليكن الأمر هكذا في كل الأمور الزمنية.]
و يقول ايضاً: حقًا تكون لنا طلبات لأمورٍ معينة عندما نكون في المسيح، وتكون لنا طلبات أخرى لأننا لا نزال في هذا العالم... لذلك إذ نثبت فيه، عندما تثبت كلمته فينا، نطلب ما نريد فيكون لنا. لكن إن كنا نسأل ولم يتحقق سؤالنا، فإن ما نسأله لا يتعلق بثبوتنا فيه، بل برغبات الجسد الملحة وضعفاته، التي ليست في المسيح، والتي لا تثبت كلمات المسيح فيها.

---

[180] Ser on Mount. 2:73.
[181] Ser. on N. T. 11.
[182] Const. Mon. 1.

فبخصوص كلماته، في كل الأحوال، هي تنتمي إلى تلك الصلاة التي علمنا إياها حيث نقول: "أبانا الذي في السماوات" (مت ٦: ٩). ليتنا لا نسقط من كلمات هذه الصلاة ومعانيها في طلباتنا، فكل ما نسأله يكون لنا... أما إن كانت كلماته تسكن فقط في الذاكرة، وليس لها موضع في الحياة، فلا يُحسب الغصن ثابتًا في الكرمة، إذ لا يستمد حياته من الأصل[١٨٣].

وعندما نطلب يجب أن نعرف مِن مَن نطلب، فإن كان هو الله ضابط الكل وإله المسكونة، إذاً فلتكن طلباتنا علي نفس هذا المستوي المهيب الذي لمن نقدم له الطلبات. فلا نطلب وننحصر فقط في إحتياجات الجسد والمعيشة، بل نطلب أن نمتلئ بالله ونشبع منه، نطلب منه ما يُشبعنا علي غرار الصلاة الربانية [خبزنا كفافنا إعطنا اليوم]، فلتكن طلبتنا الاساسية أن نشبع فيه ومنه ونمتلئ بحضوره وسُكناه فينا. فهذا هو الاهم والأبقي.
ويقول اغسطينوس: ما تسألونه يُحسب كلا شيء بالنسبة لما أريد أن أعطيكم. لأنه ماذا سألتم باسمي؟ أن تخضع الشياطين لكم. لا تفرحوا بهذا، فإن ما قد سألتموه هو لا شيء، فلو كان ذلك شيئًا لكان يسألهم أن يفرحوا... "لكي يكون فرحكم كاملاً"، أي اسألوا ما يشبعكم.
ويقول ايضاً: عندما تسألون أمورًا زمنية لا تسألون شيئًا. "من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا" (يو ٤: ١٣)...
اسألوا ما يشبعكم! تحدثوا بلغة فيلبس: "يا رب أرنا الآب وكفانا" (يو ١٤: ٨). قال له الرب: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني؟ من رآني يا فيلبس، فقد رأى الآب أيضًا" (يو ١٤: ٩ Vulgate).
قدم تشكرات للمسيح الذي صار ضعيفًا لأجلكم لأنكم ضعفاء، ولتكن رغباتكم معدة للاهوت المسيح لكي تشبع بها[١٨٤].
وفي موضع آخر يُكمل: قوله: "كل ما طلبتم" يجب ألا يُفهم أنه أي طلب كان، بل أي شيء يكون بالحقيقة له علاقة بالحياة المطوَّبة.
وما جاء بعد ذلك: "إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمي" يُفهم بطريقتين: إما أنكم لم تطلبوا باسمي، إذ لم تعرفوا اسمي بعد كما يجب، أو أنكم لم تطلبوا شيئًا، إن قورن بما يجب أن تطلبوه، فما تطلبونه يُحسب كلا شيء[١٨٥].
ويقول ايضاً: [أيها الإنسان الطمَّاع، ماذا تطلب؟ إن كنت تطلب شيئًا آخر، ماذا يشبعك إن كان الله نفسه لا يشبعك[١٨٦]؟]
يقول البابا غريغوريوس الكبير: لماذا سأل بولس الرب ثلاث مرات ولم يتأهل أن يُسمع له (٢ كو ١٢: ٨)؟ يطلب المسيح من المبشر العظيم أن يسأل باسم الابن؟
لماذا لم ينل ما سأله؟
اسم الابن هو يسوع الذي يعني "الخلاص". من يسأل باسم المخلص يطلب ما يخص خلاصه الواقعي. فإن كان ما يسأله ليس لصالحه فإنه لا يطلب من الآب باسم يسوع. لهذا يقول الرب لرسله عندما كانوا لا يزالوا ضعفاء: "إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمى" (يو ١٦: ٢٤). هذا هو السبب الذي لأجله لم يُسمع لبولس. لو أنه تحرر من التجربة لما كان يوجد ما يعينه على خلاصه...
لاحظوا طلباتكم. هل تسألون من أجل مباهج الخلاص؟ "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلها تزاد لكم" (مت ٦: ٣٣)[١٨٧].

---

183 St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 81: 4.
184 Sermon on N.T. Lessons, 95:6.
185 St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:2.
186 Ser. 105.
187 Hom. 27. Forty Gospel Homilies.

وهكذا –بحسب أغسطينوس– فإن الله أحياناً يتمهل لاجل أن يصل بنا إلي كمال معين، فربما من ما نتألم به يستخدمه الله حتي يكون لنمونا فيه، فيقول: "عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم" (مز ٣٤: ١٥)... ربما تقول: لقد صرخت إليه، ولكني لازلت في محنة. فقط تمسك بطرقه، وعندما تكون في محنة يسمع لك.
هو طبيب، ويقدم لك نوعًا من التطهير. إنك تصرخ، لكنه يبقى يقطع ولا يرفع يده حتى يقطع حسب مسرته. فإن الطبيب الذي يسمع للشخص ويتوقف عن أن يجرح ويطهر إنما هو قاسي. الأمهات تواصلن في استحمام أطفالهن من أجل صحتهم. أما يصرخ الأطفال بين أياديهن؟ هل هؤلاء قاسيات لأنهن لا يتوقفن ولا يبالين بدموع أطفالهن. ألسن مملوءات حنانًا؟... هكذا فان الله أيضًا مملوء حبًا، لكنه يبدو كمن لا يسمع. إذ لا يتوقف حتى يشفينا أبديًا.
ربما يقول الشرير، إنني أفعل الشر وأنا في أمان، لأن عيني الرب ليست نحوي، إنما الرب يصغي للأبرار، وليس لي، أفعل ما أريد وأنا في أمان. إذ يرى الرب أفكار البشر قيل: "وجه الرب ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكرهم" (مز ٣٤: ١٦)[١٨٨].

ويقول القديس باسيليوس: للصلاة شروط كي تُستجاب، منها أن يكون طلبنا وفقًا لإرادة الله (مت ٢٦: ٣٩)، ومنها الثبات واللجاجة (لو ١١: ٨)، ومنها إرادة الله أن نصلح سيرتنا قبل الاستجابة (إش ١: ١٥)، ومنها عدم استحقاقنا لما نطلب (١أي ١٧: ٤)، أو عدم استحقاق من نطلب له (إر ١٤: ١١)، ومنها كون عدم الاستجابة أفضل من الاستجابة (٢ كو ١٢:٧)... أما إذا تحقَّقت كل الشروط فلا شك أن الله يستجيب صلاتنا[١٨٩].

ويقول ايضاً: يليق بنا أن نسأل العون الإلهي لا بكسلٍ ولا بفكر مشتَّت هنا وهناك، فإن إنسانًا كهذا ليس فقط لا ينال ما يسأله، بل بالحري يُغضب الله، لو أن إنسانًا يقف أمام رئيس تكون عيناه ثابتتين في الداخل والخارج حتى لا يتعرَّض للعقوبة، فكم بالحري يليق بنا أن نقف أمام الله بحرصٍ ورعدةٍ؟ لكنك إن كنت تُثار بخطيَّة ما، فلا تقدر أن تُصلِّي بثباتٍ بكل قوّتك. راجع نفسك حتى متى وقفت أمام الله تركِّز فكرك فيه، والله يغفر لك، لأنك ليس عن إهمالٍ بل عن ضعفٍ لم تستطع أن تظهر أمامه كما ينبغي. إن ألزمت نفسك بهذا، فإنك لا تتركه حتى تنال. فإن لم تنل ما تسأله يكون ذلك لأن سؤالك غير لائق أو بغير إيمان، أو لأنك قدَّمته باستهانة، أو تسأل أمورًا ليست بصالحك، أو لأنك تركت الصلاة. كثيرًا ما يسأل البعض لماذا نصلِّي؟ هل يجهل الله ما نحتاج إليه؟ أنه بلا شك يعرف ويعطينا بفيض كل الزمنيَّات حتى قبل أن نسألها، لكن يجب علينا أولاً أن نطلب الصالحات وملكوت السماوات، عندئذ ننال ما نرغب لنسأل بإيمانٍ وصبرٍ، نسأل ما هو صالح لنا، ولا نعوق الصلاة بعصيان ضميرنا[١٩٠].

و يكمل قائلا: فالله يرى صلاة كل إنسان، يرى القلب المستعد الذي يبحث عن الخيرات السماوية، كما يرى الشفاه التي تردد الصلوات باطلاً، بينما ابتعد القلب بعيدًا عن الله، فهو يصلى ليطلب صحة الجسد، والغنى المادي، والمجد البشري. هذه الأشياء التي ينبغي ألا يطلبها كقول الرب "وفي هيكله كل واحدٍ ينطق بالمجد"[١٩١].

---

[188] On Ps. 34. (33).
[189] Reg. Brev. 261.
[190] Const. Mon. 1.

[١٩١] تفسير المزمور ٢٨ (٢٩).

ويقول القديس إفراهاط: كما أكَّدْت عليك سابقًا أنه في اللحظة التي تبدأ فيها الصلاة إرفع قلبك إلى أعلى وإخفض عينيك إلى أسفل وصلِّ في الخفاء إلى أبيك الذي في السماء. هذا كله كتبته إليك عن موضوع الصلاة وكيف أن الصلاة تُسمع عندما تكون نقيَّة، ولا تُسمع عندما لا تكون نقيَّة. لأنه يوجد بيننا أناس يكرِّرون الصلاة ويطيلون التضرُّعات ويضاعفون في قامتهم، يرفعون أيديهم، ولكن عمل الصلاة الحقيقي بعيد عنهم، لأنهم يصلُّون الصلاة التي علَّمها لنا مخلِّصنا: "واغفر لنا ما علينا، كما نغفر نحن أيضًا لمن لنا عليهم"، ومع ذلك يفشلون في حفظ وتنفيذ هذا الأمر. اعلم أيها المصلِّي وتذكَّر أنه عندما تصلِّي فإنك تقدِّم تقدمة للرب.
لا تدع الملاك جبرائيل الذي يرفع الصلوات يخجل من أن يرفع تقدمة بها عيب.
عندما تصلِّي كي يغفر لك الله لابد أن تغفر أنت أيضًا أولاً في داخلك، هل حقًا أنت تغفر أم أنك فقط باللسان تصلِّي أنك تغفر؟...
يجب أن لا تكون مخادعًا للرب وتقول "أنا أغفر" وأنت عمليًا لا تغفر، لأن الله ليس مثلك بشر يمكن أن تخدعه. "إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله. فإن أخطأت إلى الرب، فمن يصلِّي من أجلك" (١ صم ٢: ٢٥).
إستمع مرَّة أخرى لما يقوله الرب: "إن قدَّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك فاترك هناك قربانك قدَّام المذبح، وإذهب إصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدِّم قربانك" (مت ٥: ٢٣-٢٤).
عندما تبدأ صلاتك لا تعود تتذكَّر أي غضب أو حنق ضد أخيك. فإن وُجد تذكر أن صلاتك متروكة أمام المذبح وأن جبرائيل الذي يرفع الصلوات لا يريد أن يرفع الصلاة من الأرض، إذ فحص الصلاة ووجد عيب في تقدمتك. ولكن عندما تكون نقيَّة يرفعها أمام الله. إن وجد في صلاتك الكلمات: "إغفر لي، وأنا أغفر للآخرين" عندئذ يقول جبرائيل رافع الصلوات: "أولاً أعفو عن المدينين لك، وأنا أرفع صلاتك إلى الذي أنت مدين له".
سامح المدينين لك بمائة وزنة" (مت ١٨: ٢٣-٢٥) في حالتك الفقيرة، فيعفو عنك دائنك بالمقابل بمقدار عشرة آلاف وزنة حسب غنى عظمته. فلا يسألك عن رد الدين أو الفوائد. وإذا رغبت في الغفران للآخرين حينئذ يستقبل جبرائيل رافع الصلوات تقدَّمتك ويرفعها إلى أعلى. وإن لم تغفر حينئذ يقول لك: "إنني سوف لا أضع تقدمتك غير الطاهرة أمام المذبح المقدَّس". وبدلاً من ذلك خذ تقدمتك معك، وعندئذ يترك جبرائيل تقدَّمتك ويذهب. إسمع ما يقوله النبي: "ملعون الماكر الذي يوجد في قطيعه ذكر وينذر ويذبح للسيد عائبًا للأرض (مل ١: ١٤). لأنه يقول أيضًا: "قربه لواليك أفيرضى عليك أو يرفع وجهك" (مل ١: ٨). لذلك يجب أن تعفو عن دائنيك قبل صلاتك، وبعد ذلك فقط صلي، وحين تصلِّي ترتفع صلاتك أعلى أمام الله ولا تبقى على الأرض[١٩٢].

ويقول القديس امبرسيوس: صلاة القديس تخترق السحاب (سيراخ ٣٥: ١٧)، أما الأرض فتفتح فاها، وتخفي صلاة الخاطي في دم الجسد، كما قال الله لقايين القاتل: "ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك، مادمت أنت أرضًا" (راجع تك ٤: ١١-١٢)[١٩٣].

ويقول ايضاً: لنؤمن أنه مهما سألنا الآب ننال باسمه، لأن إرادة الآب هي أن نطلب خلال الابن، وإرادة الابن أن نطلب من الآب... لا تفهم من ذلك أن الآب غير قادر أن يفعل، وإنما توجد قوة واحدة تتكشف[١٩٤].

---

[192] Demonstrations, 4:13 (On Prayer).
[193] The Prayer of Job and David 1: 8: 27.
[194] On the Christian Faith, Book 1:2:12.

ويقول القديس كيرلس السكندري: الله ينصت للذين يقدمون له صلواتهم لا بتراخٍ أو إهمالٍ بل بجديةٍ واستمرارية، هذا ما يؤكد لنا المثل الماثل بيننا. فإن كان مجيء الأرملة المظلومة قد غلب القاضي الظالم الذي لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا، حتى وهبها طلبتها بغير إرادته، أفليس ذاك الذي يحب الرحمة ويكره الظلم، الذي يمد يده على الدوام لمحبيه، يقبل الذين يقتربون إليه ليل نهار، وينتقم لهم بكونهم مختاريه؟[١٩٥]

يقول الاب إسحق: هكذا تُستجاب صلاة الإنسان عندما يؤمن أن الله مهتم به وقادر أن يعطيه سؤاله، إذ لا يخيب قول الرب: "كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم" (مر ١١: ٢٤)[١٩٦].

ويقول الاب نيلس السينائي: لا تضطرب وتحزن إذا لم تحصل على طلباتك من الله... الله يريد أن يفيدك أكثر بأن يُعَلِّمك الإلحاح في الصلاة مع الصبر في الوقوف أمامه، لأنه أي شيء أسْمَى من الوقوف أمام الله في حديث معه والدخول في شركته؟[١٩٧]

و يقول ذهبي الفم: فالصلاة هى التى تجعلنا نسمو، وهى التى تصقل حياتنا، وتجعل طريق التقوى أسهل وأيسر. لأنه عندما نطلب من الله عفة أو قداسة أو وداعة أو كرامة، فلا يمكن أبدًا أن تذهب طلباتنا سُدى. يقول الكتاب: "اسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتح لكم" (مت٧:٧) وأيضًا يقول "لأن من يسأل يأخذ. ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له" (لو١١:١٠)، وفى موضع آخر يقول "فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه" (لو١١:١٣). واضح من هذا الكلام وبهذا الرجاء أن الرب يحث الجميع على الصلاة. ونحن من جانبنا يجب أن نخضع لله وأن نعيش دومًا بالتسابيح والصلوات وأن نهتم جدًا بالصلاة لله. وبهذا نستطيع أن نحيا الحياة التى تليق بالإنسان.
والنفس التى لا تصلى، ولا تشتهى أن تتمتع بالعشرة الدائمة مع الله هى نفس بلا حياة وهى غير حكيمة[١٩٨].

و يقول ايضاً: كما أن استمرار خضوعه لمشيئة الله في محبته لهم هو دليل على تقواه العظيمة. تلك التقوى التي اتضحت في موضع آخر عندما تضرع إلى الرب ثلاث مرات لكي تفارقه شوكة الجسد، ومع هذا لم يُستجاب له، وبالرغم من ذلك، فقد شكر الله كثيرًا لأنه لم يسمع له[١٩٩] . وهكذا نجده في كل الأمور كان ينظر نحو الله ويخضع لمشيئته. لكن هنا نجد أن الله قد سمع له، ليس عندما طلب ولكن فيما بعد. وهذا يوضح أن عدم إستجابة الله لطلبه في الحال لم يسبب له أى ضيق.
هذه الأمور أقولها، لكي لا نتضايق عندما لا تُستجاب صلواتنا في الحال. لأننا لسنا أفضل من الرسول بولس الذي يشكر في الحالتين. وهو إذ يصنع هذا يفعل حسنًا جدًا. لأنه وضع نفسه في يد ضابط الكل وتحت سلطانه بخضوع كامل، مثل الطينة اللينة في يد صانعها، مُسلمًا قيادة حياته لله[٢٠٠].

---

[195] On Luc hom 119.

[١٩٦] مناظرات يوحنا كاسيان، طبعة ١٩٦٨، ص ٢٣٨.
[١٩٧] الفيلوكاليا عن الصلاة ص ١٤..
[١٩٨] الصلاة، ترجمة د/ سعيد حكيم، ص ١٩
[١٩٩] انظر ٢كو١٢:٨.
[٢٠٠] تفسير الرساله إلي اهل روميه، عظه ٣: ٣

ويقول القديس أغسطينوس[٢٠١]: ينبغي على المصلّي أن يحذر أمرين:
أ. أن يسأل ممَّن لا ينبغي أن نطلب منه. فلا يجوز لنا أن نطلب من الشيطان أو الأوثان أو الأرواح الشرِّيرة، بل نطلب كل شيء من الرب إلهنا يسوع المسيح، لنطلب من الله أب الأنبياء والرسل والشهداء.
ب. لنحذر من أن نطلب ما لا يجوز طلبه، فماذا ينفعكم لو طلبتم من الله الآب السماوي موت أعدائكم؟! ألم تسمعوا عمَّا ورد في المزمور متنبئًا عن نهاية يهوذا الخائن المؤلمة إذ يقول: "وصلاته فلتكن خطيَّة" (مز ١٠٩: ٧). فإن طلبتم الإثم لأعدائكم، فصلاتكم تكون خطيَّة عليكم[٢٠٢].

و يقول الاب تيتو كولياندر: فلنقرع بالصوم والصلاة، حسب أمر الرب حينما يقول " *اقرعوا يُفتح لكم*" (مت٧:٧). فأن تقرع هذا معناه أنك تفعل. فإذا تمسكنا بكلمة الرب، فى الفقر، وفى الاتضاع، وفى كل التعليمات التى يوصينا بها الإنجيل، وواظبنا ليلاً ونهارًا على قرع باب الله الروحى، فعندئذٍ نستطيع أن نحصل على ما نطلبه[٢٠٣].

ويقول الاب تيتو كولياندر: حينما تصلى يجب أن تكون هادئًا. فأنت لا تصلى لكى تحقق رغباتك الأرضية الخاصة ولكنك تصلى: "لتكن مشيئتك"، فليس من الملائم أن نرغب فى استعمال الله كما نستخدم صبيًا فى نقل الرسائل، أنت نفسك يجب أن تصمت، دع الصلاة تتكلم.

وصلاتك ينبغى أن تشمل أربعة عناصر، كما يقول القديس باسيليوس الكبير: التعبد، الشكر، الاعتراف بالخطية، وطلب الخلاص.

لا تهتم أن تصلى لأجل أى أمور خاصة، بل " *أطلب أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لك*" (مت٦:٣٣).

إن الذى لا يستطيع أن يجعل إرادته ــ ومن ثم صلاته ــ أن تتوافق مع إرادة الله، فسوف يواجه عقبات فى مساعيه وسوف يسقط دائمًا فى فخاخ العدو. إنه سيصير ناقمًا أو غاضبًا، تعسًا او متحيرًا أو قلقًا أو مضطربًا، ولا يستطيع أحد أن يمكث فى الصلاة بمثل هذه الحالة الذهنية[٢٠٤].

---

[٢٠١] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ١١، ١٢
[٢٠٢] تحدَّث بعد ذلك كيف أن الصلاة ضدّ الأعداء في العهد القديم كانت إعلان عن كراهيَّة الخطيَّة وهي نبوَّة عمَّا يحدث للأعداء الأشرار.
[٢٠٣] طريق النساك، ص ٤٤، ٤٥
[٢٠٤] المرجع السابق، ص٦٦، ٦٧

شرح مُختصر للصلاة الربانية
بحسب تعليم أباء الكنيسة

شرح مُختصر للصلاة الربانية بحسب تعاليم اباء الكنيسة

يقول القديس اغسطينوس: لقد علّم ابن الله ذاته تلاميذه ومؤمنيه هذه الصلاة، لذلك لنا رجاء عظيم في الفوز في القضيَّة مادام لنا مثل هذا الشفيع الذي يلقّننا ما نطلبه. إنَّه الديان الجالس عن يمين الآب كما تعرفون، هو شفيعنا وفي نفس الوقت هو الذي سيدينا، لذلك تعلَّموا هذه الصلاة[٢٠٥].

ويقول القديس كبريانوس القرطاجني: هناك صلاة أكثر روحانيَّة من تلك التي أعطانا إيَّاها المسيح الذي فيه أيضًا (أي المسيح) نلنا الروح القدس؟ هل هناك صلاة للآب صادقة أكثر من تلك التي أعطانا إيَّاها الابن – الذي هو الحق – من فمه؟ هكذا فالصلاة بخلاف ما علَّم لا تكون جهل فحسب بل تكون خطيَّة أيضًا إذ قد أسَّس المبدأ قائلاً: "رفضتم وصيَّة اللَّه لتحفظوا تقليدكم"[٢٠٦] (مر٧: ٩).

لذلك أيُّها الاخوة الأحبَّاء فلنُصلِ كما علَّمنا اللَّه معلِّمنا. فالصلاة تكون أكثر قربًا ودالَّة عند اللَّه عندما نتضرَّع إليه، بنفس كلماته الخاصة ونُصعِد إلى آذانه صلاة المسيح. وهكذا يقبل الآب كلمات ابنه عندما نصلِّي. ولنجعل الابن الذي يسكن في قلوبنا ينطق أيضًا في أفواهنا. وحيث أنَّه شفيع لنا أمام اللَّه من أجل خطايانا، فلنقدِّم كلمات شفيعنا عندما نطلب كخطاة من أجل خطايانا. لأنَّه قال أن "كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم" (يو١٦: ٢٣) فما أعظم الفاعليَّة التي بها ننال ما نطلب باسم المسيح إن كنَّا نطلب بصلاته الخاصة[٢٠٧]؟!
ويكمل قائلاً: إنَّنا حقاً نتعجَّب من كثرة وعظم الأمور العميقة الموجودة في الصلاة الربانيَّة والمجتمعة باختصار في هذه كلمات، لكنها تفيض روحيًا بالفضيلة، حتى أنَّه لا يوجد شيء في صلواتنا وطلباتنا غير مُحوى في كلمات الصلاة الربانيَّة، كما لو كانت خلاصة وافية للعقيدة السماويَّة[٢٠٨].

ويقول ايضاً: إن معلِّم السلام ورب الوحدانيَّة لا يريد أن تكون الصلاة فرديَّة أو بمعزل عن الآخرين، أي أن يصلِّي أحدٍ ما لأجل نفسه فقط. فنحن لا نقول "أبي الذي في السموات" أو "خبزي الذي يكفيني أعطيني اليوم" ولا يطلب كل شخص أن تُغفَر له ذنوبه الشخصيَّة فقط ولا يطلب لأجل نفسه وحده ألاَّ يُدْخَل في تجربة ويُنْجَى من الشرِّير، فصلاتنا عامة ومشتركة بين الجميع، وعندما نصلِّي لا نطلب لأجل واحد ولكن لأجل الكل، لأنَّنا نحن الكل واحد. فإله السلام ومعلِّم المصالحة، الذي علَّم بالوحدانيَّة، أراد أن يصلِّي الواحد هكذا لأجل الكل، كما حملنا هو كلنا في واحد[٢٠٩].

وتنقسم الصلاة الربانية إلي سبعة توسلات، يمكن تقسيمها إلى قسمين:
(أ) القسم الأول: ثلاثة توسلات بروح البنين تخص مجد الآب: اسمك، وملكوتك، ومشيئتك!

---

[٢٠٥] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ١١
[٢٠٦] يقصد القديس كبريانوس أن المسيح بعد أن علّمنا كيف نصلّي يحثنا على ألا نخالف قانون الصلاة هذا لنصلّي بطريقتنا الخاصة.
[٢٠٧] الصلاة الربانيه، فقره ٢، ٣
[٢٠٨] المرجع السابق، فقره ٩
[٢٠٩] المرجع السابق، فقره ٨

(ب) القسم الثاني: أربعة توسلات تخص حياتنا أمامه: خبز الحياة في اليوم الزمني، غفران ذنوبنا، لا تدخلنا في التجربة، نجنا من الشرير.
ولكن في مضمون السبعة توسلات يعطينا المسيح القاعدة الراسخة التي تنطلق بها من الأرض إلى السماء كاستجابة ورد فعل لما عمله الآب في ابنه من أجلنا ونزل من السماء إلى الأرض.
وهنا لو دققنا الرؤية نجد أن الثلاثة توسلات الأولى هي تطُّلع نحو السماء لاكتشاف قداسة الاسم ومجد الملكوت وصلاح المشيئة، ثم رجاء بعشم عظيم في يسوع المسيح الذي كان في الحضن الأبوي ونزل إلى أرضنا، أن يظل الاسم يتقدَّس في الأرض كما هو في السماء، ويتمجد الملكوت كما هو في السموات يكون على الأرض، وتتراءف المشيئة الصالحة لتكون كما في السماء كذلك على الأرض. فلأن المسيح وهو الله ظهر في الجسد ونزل إلينا، نطمع فيه أن تنزل معه وبسببه قداسة الاسم ومجد الملكوت وصلاح المشيئة على الأرض كما في السماء. وقد احترس المسيح جداً أن يتمِّم ذلك بالفعل[٢١٠].

ابانا الذي في السموات:

يقول القديس اغسطينوس: "فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات"، ففي قوله هذا نرى أن الله صار أبًا لنا. إنَّه يكون أباكم متى وُلدتم (بالمعموديَّة) ولادة جديدة. فالآن (وأنتم على أهبَّة العماد) قبل ميلادكم الجديد، قد حُبل بكم بزرع الله. إنَّكم على وشك الوجود حيث تُجلبون إلى جرن المعموديَّة رحم الكنيسة.
تذكَّروا أن لكم أبًا في السماوات، تذكَّروا إنَّكم وُلدتم من أبيكم آدم للموت، وأنَّكم تولدون مرَّة أخرى من الله الآب للحياة – فما تصلُّون به قولوه بقلوبكم[٢١١].

ويكمل قائلاً: لنا والدان قد ولدانا على الأرض للشقاء ثم نموت. لكنَّنا وجدنا والدين آخرين، فالله أبونا والكنيسة أمِّنا، ولدانا للحياة الأبديَّة.
لنتأمَّل أيها الأحبَّاء أبناء من قد صرنا. لنسلك بما يليق بأبٍ كهذا، انظروا كيف تنازل خالقنا ليكون أبًا لنا؟!
لقد وجدنا لنا أبًا في السماوات، لذلك وجب علينا الاهتمام بسلوكنا ونحن على الأرض، لأن من ينتسب لأبٍ كهذا ينبغي عليه السلوك بطريقة يستحق بها أن ينال ميراثه[٢١٢].

ويقول ايضاً: يا من وجدتم لكم أبًا في السماوات، امتنعوا عن الالتصاق بالأمور الأرضيَّة، إذ اقترب الوقت الذي فيه تقولون: "أبانا الذي في السماوات".
إن كان أبونا في السماء، فهناك أيضًا يُعدّ لنا الميراث. إنَّه يعطينا إمكانيَّة امتلاك ما قد وهبنا معه. فقد وهبنا ميراثًا لا نرثه بعد موته (كما هو الحال في العالم)، فأبونا حيّ لا يموت، وسيبقى إلى الأبد هناك حيث نذهب عنده[٢١٣].

ويقول القديس يوحنا فم الذهب: لكنه حين يقول "في السماوات" لا يقول ذلك وكأنه يغلق على الله هناك، بل ليرفع من يصلي من مستوى الأرض إلى فوق، ليثبته في الأعالي وفي المساكن الفوقانية[٢١٤].

---

[٢١٠] شرح الانجيل بحسب القديس متي، للاب متي المسكين، ص ٢٦٧
[٢١١] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ١٣
[٢١٢] المرجع السابق، ص ١٤
[٢١٣] المرجع السابق ص١٥
[٢١٤] عظة ربنا يسوع المسيح علي الجبل، للقديس يوحنا ذهبي الفم، ص ٨٥

ويقول القديس كيرلس الاورشليمي: والذين يحملون صورة السماوات، هم أيضًا سماوات حيث يسكن الله، ويمشي فيهم[٢١٥].

ويقول القديس كبريانوس: فيجب إذن أيُّها الإخوة الأحبَّاء أن نتذكَّر ونعرف أنَّنا عندما ندعو اللَّه "أبانا" يجب أن نسلك كأبناء اللَّه، حتى كما أنَّنا نجد المسرة في اعتبار اللَّه أب، يجد هو أيضًا مسرَّته فينا. فلنسلك إذن كهياكل للَّه، حتى يظهر جليًا أن اللَّه ساكن فينا. فليت أفعالنا لا تحيد عن الطريق الروحي لأنَّنا نحن الذين صرنا روحيِّين ومنتمين للسماء، علينا ألاَّ نفكّر ولا نفعل إلاَّ ما هو روحي وسماوي لأن الرب الإله نفسه قد قال: "فإنِّي أُكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون" (١صم٢: ٣٠). والرسول المبارك قد قال في رسالته "إنَّكم لستم لأنفسكم لأنَّكم قد اشتُريتم بثمن فمجِّدوا اللَّه في أجسادكم" (١كو٦: ١٩-٢٠)[٢١٦].

و يقول القديس كيرلس السكندري: إن تعليم المسيح لنا أن نصلى كأبناء هو جودٌ فائقٌ ولطفٌ لا يبارى وأنه بذلك يمنحنا مجده الخاص، ويستشهد على نوال نعمة البنوة من (مز٨١:٦س) " أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم " وأنه بذلك حررنا من العبودية وأدخلنا فى مرتبة البنين، ويستشهد أيضًا عن نوال البنوة بـــ(يو١:١١ــ١٣) " وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله .. الذين وُلدوا من الله "، وأيضًا بـــ(١بط١:٢٣) " مولودين ثانية بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد "، وأيضًا بـــ(يع١:١٨) " شاء فولدنا بكلمة الحق "، ويشير القديس كيرلس إلى الولادة الروحية التى يتحدث عنها المسيح فى (يو٣:٥) " إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله "، وهو بإشارته هذه يقصد أننا ننال البنوة بواسطة المعمودية[٢١٧].
وبعد ذلك ينتقل القديس كيرلس ليتكلم عن مسئولية الذين يدعون الله " أبًا "، وكأنه يقول إنه فى مقابل امتياز وكرامة البنوة لله، هناك مسئولية تتبع من هذا الامتياز وهى [إنه ينبغى أن نسلك بسيرة مقدسة وبلا لوم وأن نحيا هكذا كما يرضى أبانا[٢١٨]]. ويستشهد فى ذلك بقول الرسول بطرس " وإن كنتم تدعون أبًا الذى يحكم بغير محاباة .. فسيروا زمان غربتكم بخوفٍ " (١بط١:١٧). ويحذر من [خطورة إحزان الله أبانا وإغضابه بالانحراف وراء الأمور غير المستقيمة، وأن من لا يراعى نفسه ولا يبالى بسخاء النعمة التى أُعطيت له، فإنه يكون محبًا للذّة أكثر من حبه للآب السماوى، وأن الذين يتمردون على الآب يرتكبون جرمًا عظيمًا. وبالعكس فإن الذين يخضعون للآب ويطيعونه ويكرّمونه، فإن الآب يكرمهم ويجعلهم شركاء فى الميراث مع ابنه الوحيد بالطبيعة؛ وإذ نسلك بطريقة تليق بمن أكرمنا هكذا، فإنه سيقبل ابتهالاتنا التى نقدمها فى المسيح[٢١٩]].

ليتقدس إسمك:

يقول القديس اغسطينوس: لماذا تسألون من أجل تقديس اسم الله؟! أنَّه قدُّوس، فلماذا تسألون القداسة لمن هو قدُّوس أصلاً؟! إنَّكم إذ تسألونه ذلك هل تطلبون لأجل الله وليس لأجل

[٢١٥] مقالة، ٢٣: ١١
[٢١٦] الصلاة الربانية، ١١
[٢١٧] أنظر لوقا جـــ٣ عظة٧١ ص١٨،١٩.
[٢١٨] أنظر عظة٧١ ص٢٠
[٢١٩] أنظر عظة٧١ ص٢١،٢٢

صالحكم؟! لا، افهموا هذا جيِّدًا، وهو إنَّكم تسألون هذا لأجل أنفسكم. إنَّكم تسألون من هو قدُّوس في ذاته دائمًا أن يكون مقدَّسًا فيكم.
ماذا تعني كلمة "ليتقدَّس"؟ إنَّها تعني أن يتقدَّس اسم الله فيكم ولا يُحتقر فيكم. لذلك فإن ما تطلبونه هو لخيركم، لأنَّكم إن احتقرتم اسم الله تصيرون (وليس الله) أشرارًا.
يتقدَّس اسم الله فيكم بنوالكم سرّ المعموديَّة، ولكنَّكم لماذا تطلبون هذه الطلبة بعد العماد، إلاَّ لكي يبقى فيكم ما استلمتموه بالعماد إلى الأبد[٢٢٠].

يشرح القديس كيرلس قول الأبناء للآب " ليتقدس اسمك " بأن [الله ليس محتاجًا إلى مزيد من القداسة، منا إذ هو كُلىَّ القداسة وهو مانح القداسة للخليقة]. بل إن ليتقدس اسمك معناها [ليت اسمك يُحفظ مقدسًا فينا، فى أذهاننا وإرادتنا]. [وإن من يصلى قائلاً ليتقدس اسمك، فهو يطلب أنه هو نفسه يقتنى ذهنًا مقدسًا وإيمانًا، لكى يشعر بأن اسم الله مكرم وقدوس، فالتقديس هو مصدر الحياة وسبب كل بركة]. وإن [من يصلون بجد معتمدين على محبته، فإنهم لا يطلبون التقديس لأنفسهم فقط، بل لأجل كل سكان الأرض سواء الذين آمنوا أو الذين لم يقبلوا الإيمان بعد ، لكى يشرق عليهم نور الحق ويعرفون الله أنه قدوس]. ويقول إن عبارة [الله يتقدس بواسطتنا هو اعتراف منا بأنه " قدوس الأقداس "] ويستشهد بقول إشعياء النبى " قدسوا الرب فيكون مخافتكم، ويصير قداسة لكم " (إش٨:١٣س). ويقول إن ما يعلّمه لنا الرب فى الصلاة هو : آمنوا إنه قدوس .. وهكذا سيصير هو نفسه واسطة تقديسكم[٢٢١].

ليأت ملكوتك:

يقول القديس اغسطينوس: ينبغي علينا أن نعلم أنَّنا نصلِّي بهذه الطلبة لأجل أنفسنا وليس لأجل الله، لأنَّنا لا نقول "ليأتِ ملكوتك"، كما لو كنَّا نسأل من أجل أن يملك الله، بل لكي نكون نحن من ملكوته، وذلك إن آمنّا به وتقدَّمنا في إيماننا هذا. كل المؤمنين الذين يخلصون بدم ابنه الوحيد سيكونون ملكوته[٢٢٢]. وهذا الملكوت آتٍ بعد القيامة، حيث يأتي الابن بنفسه ويقيم الأموات. ويقول للذين عن يمينه: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت" (مت ٢٥: ٣٤). هذا هو الملكوت الذي نرغبه ونطلبه بقولنا: "ليأت ملكوتك". إنَّنا نطلب أن يأتي بالنسبة لنا، لأنَّه وإن لم يأتِ بالنسبة لنا فسيأتي ولكنَّ للآخرين. أمَّا إذا اِنتمينا إلى أعضاء ابنه المولود الوحيد، فسيأتي ملكوته بالنسبة لنا ولا يتأخَّر[٢٢٣].

و يقول القديس كيرلس السكندري: الذين يدعون الله أبًا يطلبون مجيء الملكوت ، بمعنى مجيء المسيح بملكه الكامل لأنهم ينتظرون الأكاليل عند مجيئه ، ويقتبس " تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت.. " (مت٢٥:٣٤)، لأنهم جاهدوا وصاروا أنقياء، واحتملوا الآلام والاضطهادات لأجل مجد المسيح، و(٢تى٢:١٢) " إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه " و(فى٣:٢١) " سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده " . وإنهم آمنوا بما قاله عن نهاية العالم أنهم " سيضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم " (مت١٢:٤٣)[٢٢٤].

---

[٢٢٠] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ١٦
[٢٢١] أنظر لوقا جـ٣ عظة٧٢ ص٢٣ــ٢٦
[٢٢٢] لكن يوجد من يتمتَّعون بالدم ثم يعودون فينحرفون فلا يتمتَّعوا بالملكوت، وذلك واضح من بقيَّة الحديث.
[٢٢٣] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب، ص ١٧، ١٨
[٢٢٤] أنظر لوقا ج٣ عظة٧٣ ص٢٩ــ٣٢

ويقول القديس كبريانوس: نحن نصلّي أن يأتي ملكوتنا الذي وعدنا به اللّه، الذي نلناه بدم المسيح وآلامه، حتى أنَّنا نحن الذين كنَّا خاصَّته في العالم نملك معه في ملكوته، كما يعدنا هو نفسه ويقول: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥: ٣٤). أيُّها الإخوة الأحبَّاء، نستطيع أن نعتبر المسيح نفسه هو "ملكوت اللّه" الذي نريده كل يوم أن يأتي، الذي نشتهي أن يُستعلَن لنا سريعًا. حيث أنَّه هو نفسه القيامة[٢٢٥]، إذ فيه سنقوم من جديد، فهكذا أيضًا نستطيع أن نفهم أن ملكوت اللّه هو المسيح نفسه حيث أنَّنا سنملك فيه[٢٢٦].

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علي الارض:

يقول القديس اغسطينوس[٢٢٧]: إذن ماذا يقصد بالطلبة "لتكن مشيئتك"؟ إنَّه يقصد بها أن تعمل مشيئته فيّ ولا أقاومها. وبذلك تطلبون من أجل أنفسكم لا من أجل الله لأن مشيئة الله عاملة فيكم ولو لم تكن بواسطتكم[٢٢٨].
ويكمل قائلاً: إنَّنا نقبل وصايا الله، وهي مبهجة لنا... مبهجة لعقولنا، "فإنَّنا نُسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن" (رو ٧: ٢٢). وهذه هي مشيئته النافذة في السماء، لأن أرواحنا تشبه السماء، وأما الأرض فهي أجسادنا. إذن ماذا يقصد بالطلبة: "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"؟ يقصد بذلك كما تبتهج عقولنا بوصاياك، فلتُسر أيضًا بها أجسادنا. بهذا ينتهي الصراع الذي وصفه الرسول. فعندما تشتهي الروح ضدّ الجسد تكون مشيئته عاملة في السماء، وعندما لا يشتهي الجسد ضد الروح حينئذ تنفذ مشيئته على الأرض أيضًا. فإذ تتم مشيئة الله، يحدث وفاق تام بينهما ويتحوَّل الصراع الحالي إلى نصرة فيما بعد[٢٢٩].
ويقول ايضاً: يوجد معنى روحي آخر... فقد طلب منَّا أن نصلّي لأجل أعدائنا. فالكنيسة هي السماء، وأعداؤها هم الأرض، فماذا يعني "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"؟ أي أن يؤمن بك الأعداء، كما نؤمن نحن بك. إنَّهم أرض لذلك هم يعادوننا، فليصيروا سماءً، يكونوا معنا.
السماء هي الكنيسة، لأنَّها عرش الله. والأرض هي غير المؤمنين، الذين قيل عنهم "لأنَّك تراب earth وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٦ LXX)... فيقصد بـــ "كما في السماء كذلك على الأرض"، أي كما في مؤمنيك كذلك في الذين يجدِّفون عليك حتى يصيروا "سماءً"[٢٣٠]... لقد وهبنا الله ميثاقًا وعهدًا وارتباطًا راسخًا فيه، فمن أراد القول "اغفر لنا ذنوبنا" بطريقة مجدية، عليه أن ينطق بحق قائلاً: "كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا". فإن لم ننطق بهذا القول الأخير، أو قلناه بخداع يكون طلبنا الغفران باطلاً[٢٣١].

و يقول القديس كيرلس السكندري: الذين يصلون كأبناء، يطلبون أن تتم مشيئة الله على الأرض بمعنى أن يحيوا هم أنفسهم بلا لوم .. وكذلك سكان الأرض أن يهبهم [الله القوة ليصنعوا مشيئته، ويتمثلوا بالملائكة فى السماء.. يصلون أن يروا توقف الخطية ولا يتبعوا مشيئتهم الخاصة. فالأبناء يبتهلون من أجل جميع الناس.. ليُحسبوا أهلاً للسلام الذى من فوق.. ويجدوا راحة القلب.. وهم مثابرون على التمثل بالجمال الروحانى للأرواح السماوية..[٢٣٢]].

---

[٢٢٥] انظر (يو١١: ٢٥)
[٢٢٦] الصلاة الربانية، ١٣
[٢٢٧] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب ، ص ١٨، ١٩
[٢٢٨] يميِّز القدّيس أغسطينوس بين "أن مشيئة اللّه عاملة فينا" وبين "عاملة بواسطتنا"، فهي عاملة فينا إن أردنا أو لم نرد، أما كونها عاملة بواسطتنا، فيعني أنَّنا نريد أن نصنع مشيئته.
[٢٢٩] المرجع السابق، ص ٢٠، ٢١
[٢٣٠] المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢
[٢٣١] المرجع السابق، ص٣٠
[٢٣٢] أنظر لوقا جـــ٣ عظة٧٣ ص٣٣ــ٣٧

خبزنا كفافنا إعطنا اليوم:

والذين يُصلُّون للآب كأبناء، يمكن أن يطلبوا منه الخبز الضرورى للحياة اليومية. ويقول القديس كيرلس إن هذا الخبز الذى يطلبه القديسون، هو الخبز الروحى النازل من السماء، هذا أولاً، ولكن من جهة أخرى، يقول إنه لا لوم عليهم البتة أن يطلبوا مجرد الخبز العادى اللازم لاحتياجات الجسد يوم بيوم، ويقول إن هذا يليق بتقوى حياتهم على أساس أن القديسين الذين يطلبون خبز يوم واحد، فهذا برهان واضح على أن الرب لا يسمح لهم بامتلاك أى شئ، ولا يريدهم أن يبتغوا الغنى الأرضى كما قال فى مناسبة أخرى " لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ... لأن أباكم يعلم أنكم تحتاجونها " (مت٦:٢٥،٣٢). ويشرح الكلمة اليونانية " إيبى أوسيوس epiousios" ويقول إن معناها ما هو ضرورى وكافى، ويقول إن طلب الخبز الضرورى لليوم الواحد مرتبط بالتجرد من الهموم الدنيوية والشهوات الجسدانية ومن الغنى، لتكون حياتهم نقية من محبة المال ويثقون أن الآب سيعطيهم ما وعد به ويسد احتياجهم روحيًا وجسديًا عندما يسألونه ما يكفى لحياتهم من طعام وكساء[٢٣٣].

يقول القديس اغسطينوس: أعطنا أشياء زمنيَّة. التي لقد وعدت بالملكوت، فلا تمسك عنَّا الوسيلة نعيش بها. ستهبنا مجدًا أبديًا بإعطائنا ذاتك فيما بعد. أعطنا في هذه الأرض المئونة الزمنيَّة التي نقتات بها. لذلك فهو خبز يومي، وليعطنا إيَّاه "اليوم" أي في هذه الحياة. لأنَّكم هل تطلبون خبزًا يوميًا بعد عبوركم هذه الحياة؟! هناك لا تقال كلمة "يوميًا" بل "اليوم"[٢٣٤]. الآن يقال يوميًا، أمَّا هناك فهل سيُدعى "يوميًا" حيث يكون يومًا واحدًا أبديًا[٢٣٥]؟!
و يقول ايضاً: يوجد خبز آخر. ويُدعى خبزًا يوميًا، لأنَّه ضروري كالخبز العادي، بدونه لا نستطيع أن نحيا... ألا وهو كلمة الله التي توزَّع يوميًا!
خبزنا خبز يومي، تحيا به أرواحنا لا أجسادنا، ضروري لنا نحن الذين لا نزال نعمل في الكرمة. هو غذاؤنا وليس أجرتنا، فمن يستأجر عاملاً يحق عليه الغذاء الذي بدونه يخور العامل. كما تحق عليه الأجرة التي بها يُسر العامل. غذاؤنا اليومي في هذه الحياة هو كلمة الله التي توزع على الدوام في الكنائس، أمَّا الأجرة (المكافأة) التي ننالها بعد العمل فهي ما تدعى بالحياة الأبديَّة.
أما ما عالجته الآن أمامكم (أي شرح الصلاة الربانيَّة نفسه) هو خبز يومي، كذلك فصول الكتاب المقدَّس اليوميَّة التي تسمعونها في الكنيسة هي خبز يومي. كذلك التسابيح التي تسمعونها وتمجِّدون بها الله هي خبز يومي. لأن هذه جميعها لازمة لنا أثناء رحلتنا[٢٣٦].

أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمسيئين إلينا :

المسيح يعلّم تلاميذه بعدما يطلبون الخبز الضرورى من الآب أن يطلبوا كأبناء " اغفر لنا خطايانا " . ويقول القديس كيرلس إنهم بعدما يسألونه غفران خطاياهم بعد ذلك يعترفون أنهم

---

[٢٣٣] أنظر لوقا جـ٣ عظة٧٥ ص٣٨ــ٤٢
[٢٣٤] لأن الحياة الأبديَّة يوم واحد، ليس فيها زمان.
[٢٣٥] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، ترجمة الاب تادرس يعقوب ، ص ٢٣
[٢٣٦] المرجع السابق، ص ٢٤

يغفرون للذين يسيئون إليهم، فنوال الغفران يستلزم الاعتراف أولاً بالخطايا أمام الله ، ويقتبس قول إشعياء " اعترف أولاً بتعدياتك لكى تتبرر " (إش٤٣:٢٦س) ومزمور(٣٢:٥) " قلت اعترف للرب بذنبى وأنت غفرت آثام خطيتى ". فطريق الخلاص هو الإقرار بالذنوب وأن نطلب من الذى يبرر الأثيم قائلين " اغفر لنا خطايانا ". ويقول القديس كيرلس إن الرب اهتم بأن يضيف بعد " اغفر لنا خطايانا " قوله [إننا نحن أيضًا قد غفرنا لكل من أساء إلينا] لأن الذين يصلون هكذا يتحلُون بطول الأناة ويغفرون للمسيئين[٢٣٧].

يقول القديس اغسطينوس: اغفروا من القلب، أي انزعوا الغضب من قلوبكم. لنقل في كل يوم: "اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا"، وليكن هذا القول من القلب، عالمين بما نقوله. أنَّه عهد وميثاق، إنَّه ارتباط بيننا وبين الله. فالرب إلهنا يقول لنا: "اغفروا يغفر لكم"، فإن لم نغفر للآخرين تبقى خطايانا علينا وليس عليهم[٢٣٨].

ويقول القديس كيرلس الاورشليمي: إذ لنا ذنوب كثيرة لأننا نسيء بالقول والفكر وأشياء كثيرة جدًا نعملها نستحق عليها القصاص. "فإن قلنا ليس لنا خطية، نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" كما قال المطوّب يوحنا (١ يو ١: ٨). فنصنع مع الله عهدًا نستعطفه، ليغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لإخواننا ذنوبهم، مترجين ذلك فيما نتقبله، مستبدلين به غفراننا للآخرين، فلا نهمل أو نتأخر في تسامح بعضنا بعضًا. فالإساءات التي تُرتكب ضدنا خفيفة وزهيدة وتنتهي بسرعة. لكن التي تُرتكب ضد الله عظيمة وتحتاج إلى رحمة كرحمته فقط. لذلك انتبه لئلا من أجل الذنوب الزهيدة الطفيفة، تمنع عن نفسك غفرانًا من الله لخطاياك المحزنة[٢٣٩].

لا تدخلنا فى تجربة :

الأبناء الذين يصلون للآب السماوى يعلّمهم الرب أن يختموا صلاتهم قائلين : " ولا تدخلنا فى تجربة". ويقول القديس كيرلس إن طلب عدم الدخول فى التجربة لا يعنى الجبن أو التكاسل، بل يعنى اعترافًا بخطورة التجارب التى يسوقها الشيطان، فيقول [إن عنف التجربة قد يهز أحيانًا عقل أشد الناس شجاعة]، ويحذر من الثقة فى النفس بزيادة بل [يجب أن نعرف ضعف ذهننا]، ويقول [فلنصل أن لا نُجَرَّبْ .. ولكن إذا ما دعت الضرورة وأُلقينا فيها رغمًا عنان فلابد أن نبذل أقصى جهدنا ونصارع من أجل نفوسنا .. طالبين معونة الرب لنا].
ويذكر نوعين من التجارب :
١ ــ تجارب تأتى من الهراطقة .
٢ ــ تجارب الخطية .

ويقتبس (١بط٤:١٩) " الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعون أنفسهم لخالق أمين "، (١بط٤:١٥) [إن كان يتألم كمسيحى فلا يخجل بل يمجد الله]، وأن الذين يحتملون هذه الآلام ينالون الأكاليل. " جاهدت الجهاد الحسن .. وأخيرًا وُضع لى إكليل البر " (٢تى٤:٧). وعن تجارب الخطية يقتبس (يع١:١٣ــ١٥) " كل واحد يُجرب إذا انجذب ينخدع من شهوته..". وهناك أيضًا تجارب " حب الربح المادى " و" حب الاكتناز الخسيس ". [لذلك يليق بنا حسنًا نحن المُعَرَّضين لمثل هذه الشرور الخطيرة حتى إن لم نكن قد سقطنا فيها بعد،

[٢٣٧] لوقا ج٣ عظة٧٦ ص٤٥،٤٣ــ٤٨
[٢٣٨] الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد ، ص٢٩
[٢٣٩] مقالة، ٢٣: ١٦

أن نصلى قائلين " لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير"]. والله الذى نحبه أكثر من أى شئ سوف يعيننا ويهبنا النصرة فهو مخلص الكل[٢٤٠].

ويتسائل اغسطينوس: لماذا نصلي: "لا تدخلنا في تجربة"؟
غالبًا أنت لا تعرف حتى نفسك؛ لا تعرف ما يمكنك أن تحتمله وما لا يمكنك. أحيانًا تظن أنك تثبت فيما هو فوق طاقتك، وأحيانًا تيأس من كونك قادر أن cope ما تقدر أن تحتمله حسنًا. تأتي التجربة، كما لو كانت سؤالاً، فتجد نفسك خاردًا لأنك لا تعرف حتى نفسك[٢٤١].
يقسم القديس أغسطينوس التجارب إلى نوعين: الأول يخدع الإنسان، والثاني يمتحنه ليعلن للإنسان عن ضعفه أو قوته الروحية.
يستخدم الله النوع الثاني لا ليتعلم شيئًا لم يعرفه قبلاً، وإنما لكي بامتحانك، بسحبك خارجًا يعلن لك ما هو خفي فيك. إذ توجد فيك أشياء خفية حتى عن نفسك التي تسكن هي فيها. تُكتشف هذه الأشياء، وتُخرج خارجًا عل المكشوف و exposed وذلك بالتجارب وحدها. فإن توقف الله عن السماحح للتجربة، إنما يتوقف السيد عن أن يعلم[٢٤٢].
ليس حسنًا لك أن تكون بلا تجربة لا تسأل الله الا تجرب بل الا تدخل في تجربة[٢٤٣].
إننا ندخل في تجارب متى كانت هكذا اننا لا نقدر ان نتحملها[٢٤٤].
لا يدخل في تجربة من يغلب رغبته الشريرة بانحناء إرادته يعمل الصلاح. ومع ذلك فإنه الإرادة البشرية غير كافية ان ترفض الدخول في تجربة ما لم يمنحها الرب نصرة كاستجابة للصلاة[٢٤٥].

ويقول القديس كيرلس الاورشليمي: هل هذا ما يعلمنا الرب أن نصلي لكي لا نُجرّب أبدًا؟ فكيف إذن يُقال في موضع آخر: "الرجل غير المُجرب، يعلم قليلاً" (سي ٣٤: ١٠، رو ٥: ٣-٤)، وأيضًا يقول يعقوب: "احسبوا كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة" (يع ١: ٢).
لكن هل يعني الوقوع في التجربة ألا يدع التجربة تغمرنا وتجرفنا؟ لأن التجربة كسيل الشتاء يصعب عبوره. لذا فهؤلاء الذين لا يغرقون فيها يمرّون مظهرين أنفسهم سبّاحين ممتازين، ولم يُجرفوا في تيارها أبدًا. بينما الآخرون يدخلون فيها ويغرقون. مثلاً دخل يهوذا الإسخريوطي في تجربة حب المال، فلم يَسبح فيها بل غَرق، وشُنق نفسه بالجسد والروح (مت ٢٧: ٥). وبطرس دخل في تجربة الإنكار، لكنه دخل ولم يُسحق بها. لكن كرجل سبح فيها ونجا منها. أنصت ثانية في موضع آخر إلى جماعة من القديسين لم يُصابوا بضررٍ يقدمون الشكر لنجاتهم من التجربة. جربتنا يا الله - جربتنا بالنار كتجربة الفضة - وضعتنا في الشبكة، وضعت عذابات على ظهورنا. جعلت الناس يركبون على رؤوسنا. "جزنا في النار والماء لكن أخرجتنا إلى موضع راحة" (مز ٦٥: ١٠-١٢). فخروجهم إلى موضع راحة يعني نجاتهم من التجربة[٢٤٦].

---

[٢٤٠] أنظر لوقا جـ٣ عظة ٧٧ ص٥٠،٥١،٥٢،٥٣،٥٤

[241] On Ps. 55:2.
[242] Sermon 2:3.
[243] On Ps 63:1.
[244] Sermon on the Mount 2:9:34.
[245] On Grace and Free Will, 9.

[٢٤٦] المقالة، ٢٣: ١٧

مُلـــــــــــحقات

ملحق ١
الصلاة، للقديس كيرلس السكندري

ينبوع كل بركة هو المسيح "الذي صار لنا حكمة من الله" (١ كو ١: ٣٠)، إذ فيه صرنا حكماء وامتلأنا بالمواهب الروحية. الآن من كان متزن العقل يؤكد أن معرفة هذه الأشياء التي فيها نتقدم بكل وسيلة بالحياة المقدسة السامية والنمو في الفضيلة إنما هي عطية من الله، يتأهل الإنسان للفوز بها.

إننا نجد إنسانًا يسأل الله، قائلاً: "اظهر لي يا رب طرقك، علمني سبلك" (مز ٢٤: ٤). عديدة هي السبل التي تقودنا إلى الأمام نحو الحياة غير الفاسدة... لكنه يوجد سبيل واحد على وجه الخصوص نافع لكل السالكين فيه وهو الصلاة. لقد حرص المخلص نفسه أن يعلمنا إياه، مقدمًا لنا المثل الموضوع أمامنا كي نجاهد في الصلاة، إذ قيل: "وقال لهم أيضًا مثلاً في أنه ينبغي أن يصلى كل حين ولا يُمل" (لو ١٨: ١).

إنني أؤكد أنه من واجب من يكرسون حياتهم للخدمة ألا يتراخوا في صلواتهم، ولا يحسبونها واجبًا ثقيلاً ومرهقًا، بل بالحري يفرحوا من أجل الحرية التي يهبها الله لهم، فإنه يريدنا أن نتحدث معه كأبناء مع أبيهم.

ألا يُعتبر هذا فضلاً يستحق منا كل تقدير؟ لو بلغ إلينا إنسان عظيم ذو سلطان أرضي وسمح لنا أن نتحدث معه بكامل الحرية، أما نحسب هذا سببًا لائقًا للفرح العظيم؟! فلماذا نشك إن كان الله يسمح لكل واحدٍ منا أن يوجه حديثه له كيفما شاء، مقدمًا للذين يخافونه كرامة عظيمة كهذه، يتأهلون لنوالها؟!

لنبطل كل كسل هذا الذي يجعل الناس يمارسون الصمت الضار عن الصلاة، ولنقترب بالحري إليه بالمديح والفرح إذ نلنا وصية أن نتحدث مع رب الكل وإله الجميع، ولنا المسيح شفيعًا يهبنا مع الآب تحقيق طلباتنا. يكتب بولس الطوباوي: "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب (وربنا) يسوع المسيح" (٢ كو ١: ٢). بل والمسيح نفسه يقول لرسله القديسين: "إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمي، اطلبوا تأخذوا" (يو ١٦: ٢٤). إنه شفيعنا، إنه كفارة عنا، إنه معزينا، واهبنا كل سؤالاتنا.

من واجبنا أن نصلي بلا انقطاع ككلمات الطوباوي بولس (١ تس ٥: ٧)، وكما هو معروف لنا حسنًا ومؤكد لنا ان ذاك الذي نقدم له سؤلاتنا قادر أن يحقق لنا كل شيء. لقد قيل: "ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجًا من البحر تخبطه الريح وتدفعه، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئًا من عند الرب" (يع ١: ٦-٧). فمن هو مرتاب يرتكب بالحق سخرية، فإن كنت لا تؤمن أنه يقترب إليك ويبهجك ويتمم طلبتك لا تقترب إليه بالكلية، لئلا تُوجد متهمًا القدير بكونك في غباوة مرتابًا. إذن لنتجنب هذا المرض الدنيء (الارتياب).

الله ينصت للذين يقدمون له صلواتهم لا بتراخ أو إهمالٍ بل بجديةٍ واستمرارية، هذا ما يؤكد لنا المثل الماثل بيننا. فإن كان مجيء الأرملة المظلومة قد غلب القاضي الظالم الذي لا يخاف الله ولا يهاب إنسانًا، حتى وهبها طلبتها بغير إرادته، أفليس ذاك الذي يحب الرحمة ويكره

الظلم، الذي يمد يده على الدوام لمحبيه، يقبل الذين يقتربون إليه ليل نهار، وينتقم لهم بكونهم مختاريه؟[٢٤٧]

[247] On Luc hom 119.

مُلحق ٢
الصلاة إلى الروح القدس[٢٤٨]

قليلة هى الصلوات التي توجه مباشرةً للروح القدس. ففي صلوات الليتورجيات (القداسات) المستعملة منذ القرون الأولى في كل الكنائس نجد أن الصلاة توجه إما لله الآب في أغلب القداسات، وإما للإبن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، في بعضها، ولكننا لا نجد بين القداسات القديمة ــ على قدر ما نعرف ــ قدّاسًا توجه فيه الصلاة لأقنوم الروح القدس.
أما التعبير الرئيسي عن التقوى الأرثوذكسية نحو الروح القدس فنجده في صلوات عيد العنصرة بقسميه: النهاري في قداس أحد عيد حلول الروح القدس صباح يوم الخمسين، والمسائي في صلوات السجدة الثلاث عصر يوم العنصرة.
ولكن توجد صلاة صغيرة موجهة للروح القدس في صلاة الساعة الثالثة (٩ صباحًا) وهى [أيها الملك السمائي المعزي روح الحق، الحاضر في كل مكان والمالئ الكل، كنز الصالحات ومعطي الحياة، هلم تفضل وحل فينا، وطهرنا من كل دنس وخلّصنا ونج نفوسنا]. وهذه الصلاة نصليها بمناسبة حلول الروح القدس في الساعة الثالثة على الكنيسة المجتمعة في العلية باسم المسيح في انتظار وعد المسيح للتلاميذ بإرسال الروح القدس.
وهذه الصلاة الصغيرة الموجهة للروح القدس، نخاطبه بها أيضًا في صلاة نصف الليل، فنتوسل إلى الروح القدس المعزي الملك السمائي روح الحق أن يحل فينا ويطهرنا من كل الأدناس ويخلّص نفوسنا.
ونكرر هذا التوسل إلى الروح القدس في الخدمات الثلاثة لصلاة نصف الليل
ونفس هذه الصلاة الموجهة للروح القدس تستخدمها كنيسة الروم الأرثوذكس لتفتتح بها معظم الصلوات الليتورجية في الكنيسة وليس في صلاة السواعي فقط.
وتوجد صلاة أخرى ليست موجهة إلى الروح القدس ولكننا نطلب فيها من مخلّصنا الحبيب وإلهنا يسوع المسيح أن يجدد الروح القدس في أحشائنا. وهذه الصلاة أيضًا نصليها في الساعة الثالثة من النهار (٩صباحًا) وتصليها الكنيسة في عيد حلول الروح القدس ــ يوم العنصرة (عيد الخمسين).
فيقول الكاهن (أو المصلي في صلاة الأجبية): [روحك القدوس يا رب الذي أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين في الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح لكن جدده في أحشائنا، قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدده في داخلي].
وهذا الارتباط بين الروح القدس والصلاة ينبهنا إلى أهمية عمل الروح القدس في الروحانية الأرثوذكسية.

طلب الروح القدس بالصلاة:
فالكنيسة تعلّمنا أن نصلي طالبين تجديد الروح القدس في أحشائنا، هذا الروح نفسه الذي كنا قد نلناه بالمعمودية والمسحة المقدسة. والصلاة لطلب تجديد الروح القدس في داخلنا لا تعني أننا لم نأخذ موهبة الروح القدس عندما اعتمدنا أطفالاً ومسحنا بمسحة الميرون، بل بالعكس فإن مَن ليس له عطية الروح قبل أن يطلب تجديد الروح في داخله لا يمكنه أن يطلب هذا الطلب في الصلاة، فهذه الطلبة لا يستطيع أن يطلبها إلاّ أولاد الله الذين ولدوا بالروح القدس من الله أى وُلِدوا من الماء والروح كما يقول رب المجد نفسه إنه أعطى سلطانًا للذين قبلوه أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه (انظر يو ١٢:١).

[٢٤٨] عن كتاب الروحانيه الارثوذكسيه، د/ نصحي عبد الشهيد، ص ١٥٦: ١٦٣

فالصلاة هى تعبير عن العطش الروحي إلى الله. وهذا العطش يرويه المسيح له المجد لمن يقبل إليه ويشرب، حسب قوله " *إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب، مَن آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حيّ، قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه* " (يو٧:٣٧ــ٣٩).

و" أنهار الماء الحيّ " هى أنهار الروح القدس التي يسكبها الرب يسوع الممجد منذ صعوده، يسكبها على قلوبنا. وهذا يشرحه لنا القديس أثناسيوس الرسولي عندما يقول [حينما نعطش إليه فهو يشبعنا إذ هو الذي وقف في اليوم الأخير من العيد وصرخ " إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب ". لأن هذا هو الحب الذي للقديسين في كل حين، إنهم لا يكفون عن تقديم ذبيحتهم الدائمة التي يقدمونها للرب بلا انقطاع، ويعطشون دائمًا ويطلبون منه أن يشربوا .. والرسول بولس يوصينا " *اشكروا كل حين صلوا بلا انقطاع* ". فأولئك الذين ينشغلون بالصلاة فإنهم ينتظرون الرب دائمًا ويقولون: " *فلنتتبع لنعرف الرب، سنجده مستعدًا كالصبح، وسيأتي إلينا كالمطر المبكر، كمطر متأخر يسقي الأرض* " (هو٦:٣)، فهو يشبعهم ليس فقط في الصباح ويعطيهم ليس فقط أن يشربوا كلما يسألون، ولكنه يعطيهم بوفرة وسخاء حسب كثرة محبته، مانحًا لهم نعمة الروح في كل حين. ويوضح ما يعطشون إليه بقوله على الفور " *مَن آمن بي* " لأنه " *كالمياه الباردة لنفس عطشانة* " بحسب الأمثال (٢٥:٢٥)، وهكذا فإن مجيء الروح لأولئك الذين يؤمنون بالرب هو أفضل من كل انتعاش وابتهاج][٢٤٩].

والآباء النساك يعطون أهمية كبيرة للصلاة لأجل قبول أو نوال الروح القدس. فالقديس أنطونيوس الكبير يقول لأولاده: [وهذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا اقبلوه أنتم أيضًا، وإذا أردتم أن تنالوه ويسكن فيكم فقدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء ليلاً ونهارًا، واطلبوا بكل قلبكم هذا الروح الناري القدوس وحينئذٍ يعطى لكم][٢٥٠].

والقديس مقاريوس يحثنا على [المواظبة على الصلاة إلى الله وأن تكون صلاتنا بإيمان وبرجاء ومحبة، صلاة بلا انقطاع وبانتظار وثبات، وذلك لكي يُرسِل الله روحه إلى قلوبنا ... ولكي نمتلئ بالروح القدس لكي يمكننا أن نثمر ثمار الروح][٢٥١].

ويقول أيضًا مؤكدًا على طلب الروح القدس بالصلاة ومبيّنًا قوة فعل الروح في حياتنا الروحية: [ينبغي لنا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أى كنز المسيح الحقيقي بقوة الروح القدس وفاعليته][٢٥٢]. [فلنتوسل إلى الله بإيمان ومحبة والرجاء الكثير لكي يمنحنا النعمة السماوية، نعمة الروح، لكي ما يحكمنا ويضبطنا ذلك الروح نفسه أيضًا، ويقودنا إلى كل إرادة الله وينعشنا ويحيينا بكل أنواع إنعاشه وإحيائه لكي بواسطة عمل الروح هذا وفاعلية النعمة، والثمر الروحاني نتقدم، لنحسب أهلاً لإدراك كمال ملء المسيح كما يقول الرسول لتمتلئوا بكل ملء المسيح (أف٣:١٩)، وأيضًا يقول " *إلى أن ننتهي جميعنا إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح* " (أف٤:١٣). ولقد وعد الرب كل الذين يؤمنون به ويسألونه بالحق أن يعطيهم أسرار شركة الروح الذي لا ينطق به][٢٥٣].

الصلاة في الروح القدس :

إن كانت الصلوات الموجهة إلى الروح القدس في الكنيسة الأرثوذكسية قليلة، وكذلك الصلوات لطلب حلول الروح القدس، لكن يمكننا أن نمارس ما أوصانا به القديس يهوذا في رسالته بقوله: " *أيها الأحباء ابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصلين في الروح القدس* "

---

[٤٨] القديس أثناسيوس، الرسالة الفصحية رقم (٢٠) .N.& P.N. Fathers Vol,IV. P. 548

[٤٩] رسائل القديس انطونيوس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الرسالة الثانية ص ٦٧، ٦٨. القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

[٥٠] عظات القديس مقاريوس الكبير، عظة ١٩ طبعة رابعة ص١٩٦، ٢٠١.

[٥١] المرجع السابق عظة ١٨، ص١٩٢.

[٥٢] المرجع السابق عظة ١٨ ص١٩٥.

(يهوذا١:٢٠). وبهذا تكون الصلاة في الروح القدس واجبًا ضروريًا لكي نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس. فما هو معنى أن نصلي في الروح القدس؟

هذا يعني إما أن تكون كلمات الصلاة ومقاصد الصلاة ليست كلماتنا نحن ولا مقاصدنا نحن، بل تكون معطاة لنا من الروح القدس في داخلنا. أي أن الروح القدس هو المحرك الداخلي للصلاة في أعماق قلوبنا، فعندما نقصد أن نصلي سواء باتجاه الفكر والنية أو بكلمات معينة للتعبير عن أفكار أو طلبات، فإننا عندئذ نتحد مع حركة روح الصلاة ــ الروح القدس في داخلنا، فتكون صلاتنا بالروح أو في الروح القدس، أي إننا ندخل بقلوبنا داخل الروح القدس، ويكون الروح القدس محيطًا بنا مظللاً لنا ومحاصرًا لنا بالحب وحافظًا وحاميًا لنا، أي أن الروح القدس يكون هو المُصلي الحقيقي ونحن نندمج فيه، وهكذا بفعل الروح نصلي صلاة حقيقية قوية من أعماق قلوبنا.

ويقول القديس مقاريوس الكبير عن الصلاة والروح القدس:
" وليغصب (المسيحي) نفسه إلى الصلاة حينما لا تكون له الصلاة الروحانية وهكذا إذ يراه الله مجاهدًا وغاصبًا لنفسه....فإنه يهب له صلاة الروح الحقيقية....."[٢٥٤].
والروح القدس نفسه يمنحه التواضع والمحبة والوداعة، ويعلّمه الصلاة الحقيقية...، لذلك فلنغصب نفوسنا. مصلين ومتوسلين إلى الله ... بلا انقطاع، وبانتظار وثبات أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلي ونسجد لله بالروح والحق (يو٤:٢٤).
ولكيما يصلي الروح نفسه فينا، لكيما يعلمنا الروح بنفسه تلك الصلاة الحقيقية. التي لم نكن قد حصلنا عليها حتى الآن[٢٥٥].
والمعنى الآخر للصلاة في الروح القدس، هي أن نكون في حالة "هدوء صلواتي" أي صلاة بدون صوت، تكون فيه النفس في حالة إتحاد مع الصلاة الخفية غير المدركة، الصلاة المستمرة بلا توقف التي يحركها الروح القدس داخل النفس. ونعرف من الذين مارسوا تدريب "صلاة يسوع" أو "مناداة اسم الرب يسوع" أنهم يختبرون نوعًا من الهدوء الداخلي العجيب، أو ما يسمونه "الحضور الكامن لاسم يسوع القدوس" في النفس؛ هذه الحالة من "الصلاة الباطنية" تعني أن الروح القدس قد صار هو المُصلي الوحيد والحقيقي داخل نفوسنا وقد يكون هذا هو ما يعنيه الرسول بولس عندما يقول " *الروح يعين ضعفاتنا: لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها....لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين* " (انظر رو٨:٢٦، ٢٧).

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم عن هذه الشفاعة ما يلي:
(النفس التي تنال موهبة الصلاة، تتشفع إلى الله وتئن. لأن ذلك الذي حُسب أهلاً لنعمة مثل هذه، يقف أمام الله بضمير متألم يئن كثيرًا، وبأنات عقلية كثيرة (أي بدون نطق)، ويسقط أمام الله، ويطلب منه الأمور النافعة للجميع ...
... وذلك لكي نتعلم أن نصلي لأجل الأمور الواجبة، ونطلب من الله ما يوافق مشيئته.. وهكذا فهذا كله لكي يفرّح الذين يلجأون إليه، ويعطيهم تعليمًا ممتازًا. فالذي هيئ المواهب، وأعطى بركات أخرى بلا عدد هو الروح المعزي، كما يقول الرسول " هذه *كلها يعلمها الروح الواحد* بعينه " (١كو١٢:١١)[٢٥٦].

---

[٥٣] عظات القديس مقاريوس الكبير، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، العظة التاسعة عشر ص١٩٨، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥، القاهرة.
[٥٤] المرجع السابق، عظة ١٩، ص٢٠١، ٢٠٢.
[256] Homilies on Romans of St. John Chrrysostom, Hom. XIV, No PN. Fathers 1st series Vol. XI P.447.

مُلحق ٣
كيف نُصلي للقديس كبريانوس القرطاجني

ولكن لتكن صلاتنا وطلباتنا بمهابة وانسحاق متذكّرين أنَّنا واقفون في حضرة اللَّه فيجب علينا أن نرضيه سواء بمظهر الجسد أو بنبرة الصوت، فكما أنَّه من سمات الإنسان الذي بلا حياء أن يكون مزعجًا بصراخه، فهكذا على الجانب الآخر، يليق بالإنسان المتواضع أن يصلِّي بطلبات هادئة. بالإضافة إلى ذلك، فقد أمرنا الرب في تعاليمه أن نصلِّي في الخفاء في الأماكن المنعزلة والبعيدة عن الأنظار، في مخادعنا، فتلك الأماكن تناسب الإيمان بالأكثر، حتى نعرف أن اللَّه حاضر في كل مكان، وهو يسمع ويرى الكل وفي عظم مجده ينفذ حتى إلى المواضع الخفية والسرية، كما هو مكتوب *"ألعلي إله من قريب يقول الرب ولست إلهًا من بعيد، إن اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا يقول الرب؟ أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب؟"* (أر٢٣: ٢٣، ٢٤) وأيضًا *"في كل مكان عيني الرب مراقبتين الطالحين والصالحين"* (أم١٥: ٣). وعندما نلتقي بالاخوة في مكانٍ واحد لنقدم الذبائح الإلهيَّة مع كاهن اللَّه، يجب أن نراعي التواضع والانضباط، فلا نتلو صلواتنا بلا تمييز بل بصوتٍ خافت، ولا نطرح طلبتنا أمام الرب في صخب بل نستودعها للَّه بخشوع. فاللَّه هو سامع للقلب لا للكلام ولا يحتاج إلى التنبيه الصاخب لأنَّه يرى أفكار الإنسان، كما يُثبت لنا الرب هذا بقوله "لماذا تفكّرون بالشرّ في قلوبكم؟" (مت٩: ٤) وفي موضع آخر "فستعرف جميع الكنائس إنِّي أنا هو الفاحص الكلى والقلوب" (رؤ٢: ٢٣).

٥. هذا هو ما فعلته حنَّة أم صموئيل، كما ورد في سفر صموئيل الأول، مُجسِّدةً لنا صورة من صور الكنيسة الملتزمة والمتيقظة، التي تصلِّي إلى اللَّه لا بصخب، ولكن في هدوء وتواضع، في أعماق قلبها. تكلَّمت حنّة بصلاة خفيَّة ولكن بإيمان ظاهر، تكلَّمت بقلبها لا بصوتها، لأنَّها طلبت بإيمان. والكتاب الإلهي يؤكّد ذلك عندما يقول *"فإن حنَّة كانت تتكلَّم في قلبها وشفتاها فقط تتحرَّكان وصوتها لم يُسمَع"* (١صم١: ١٣). ونقرأ أيضًا في المزامير *"تكلَّموا في قلوبكم وعلى مضاجعكم اسكتوا"* (مز٤: ٤). كما يشير الروح القدس إلى تلك الأمور عينها من خلال إرميا ويعلِّم قائلاً: *"قولوا في قلوبكم لك يا رب ينبغي السجود"* (باروخ ٦: ٥)

٦. أيُّها الإخوة الأحبَّاء، يجب ألاَّ يجهل الإنسان العابد الأسلوب الذي صلَّى به العشَّار مع الفرِّيسي في الهيكل، لا بعيون مرتفعة باجتراء نحو السماء ولا بأيادي مرفوعة بافتخار، بل لقد طلب عون المراحم الإلهيَّة قارعًا صدره، معترفًا بالخطايا الدفينة. وبينما كان الفرِّيسي فخورًا بنفسه، استحقَّ العشَّار أن ينال التقديس أكثر من ذلك الفرِّيسي، لأنَّه لم يضع رجاء خلاصه على ثقته في برِّه، إذ لا يوجد من هو بلا خطيَّة، ولكنَّه صلَّى بتواضع معترفًا بخطيَّته، فسُمِعَت صلاته من الذي يغفر للمتَّضعين، وهذه الأمور يسجِّلها الرب في إنجيله قائلاً: *"إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصلِّيا، واحد فرِّيسي والآخر عشَّار. أمّا الفرِّيسي فوقف يصلِّي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك إنِّي لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشَّار. أصوم مرَّتين في الأسبوع، وأعشِّر كل ما اقتنيه. وأمَّا العشَّار فوقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني، أنا الخاطئ. أقول لكم: إنَّ هذا نزل إلى بيته مُبرَّرًا دون ذاك، لأن كل من يرفع نفسه يتَّضع، ومن يضع نفسه يرتفع"* (لو١٨: ١٠–١٤)

٧. أيُّها الإخوة الأحبَّاء، بعدما تعلَّمنا هذه الأشياء من القراءات المقدَّسة، وفهمنا الطريقة التي يجب أن نتقدَّم بها إلى الصلاة، فلنعرف أيضًا من تعليم الرب ما يجب أن نصلِّي به. فيقول الرب: *"فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدَّس اسمك، ليأتي ملكوتك، لتكن*

مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا *اعطنا اليوم*، *واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا*، *ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرِّير آمين*" (مت٦: ٩)[٢٥٧]

[٢٥٧] الصلاة الربانيه، فقرات من ٤: ٧

مُلحق ٤
قانون الصلاة للقديس ثيوفان الحبيس

أنتَ تسأل عن قانون صلاة. نعم، هذا جيد لا بل جيد جداً أن يكون لنا قانون صلاة بسبب ضعفنا، حتى، من جهة، لا نستسلم للكسل، ومن جهة أخرى نوجّه حماسنا إلى ما يناسب. إن ممارسي الصلاة العظماء حفظوا قانوناً محدداً. إنهم دائماً يبدأون بقطع محددة، وإذا انطلقت خلالها الصلاة من ذاتها، يضعون هذه القطع جانباً ويصلّون هذه الصلاة. كون هذا ما فعله المصلّون العظماء يجعله سبباً كافياً لنا كي نقوم به. بدون الصلوات المعروفة، لن نعرف كيف نصلي، وبالتالي، نبقى بلا صلاة.

في أي حال، ليس المرء بحاجة إلى صلوات كثيرة. إن تلاوة عدد قليل من الصلوات بشكل حسن أفضل من الاندفاع بصلوات كثيرة، لأن من الصعب الحفاظ على الحرارة في الصلاة عندما نصلّي بسرعة.

أنا أرى أن صلوات الصباح والمساء، كما هي في كتب الصلوات، كافية لك تماماً. فقط حاول في كل مرة أن تقوم بها بانتباه كلي وأحاسيس منسجمة. ولتكون أكثر نجاحاً في هذا، إمض قليلاً من وقت فراغك في قراءة كلٍ من هذه الصلوات على حدة. تفكّر بها وتحسّسها، حتى تتعرف إلى الأفكار المقدسة التي فيها عندما تتلوها في قانونك. الصلاة لا تعني أن نسرد الصلوات فقط، إنّما أن نهضم محتواها في ذواتنا، وننطق بها وكأنها تخرج من أذهاننا وقلوبنا.

بعد أن تكون قد استوعبت الصلوات وأحسست بها، إعمل على حفظها. عندها لن تحتاج إلى تلمّس الكتب عند وقت الصلاة، كما ولن يشوّش عليك شيء خلال صلاتك، بل تكون المحافظة على التضرع الذهني إلى الله أكثر سهولة عليك. سوف ترى بنفسك كم أنّ هذا يساعد. أنْ يكون كتاب صلواتك معك أينما ذهبت وفي كل وقت هو أمر بالغ الأهمية.

وعند وقوفك للصلاة، مهيأ هكذا، انتبه أن تحفظ فكرَك من التيهان وذهنك من البرودة واللامبالاة، مجهداً نفسك بكل الوسائل لتحفظ انتباهك وتجعل وجدانك حاراً. قمْ بقدر ما تريد من السجدات بعد انتهائك من تلاوة كل من الصلوات، مرفِقاً إياها بصلاة من أجل إحدى حاجاتك، أو بصلاة قصيرة. هذا سوف يطيل وقت صلاتك بعض الشيء، لكنه يزيد من قوتها. يجب أن تصلّي قليلاً لوحدك، خاصة عند نهاية صلواتك، طالباً الغفران عن شرود الذهن وواضعاً نفسك بين يدي الله طيلة النهار المقبل.

يجب أن تحفظ أيضاً انتباهاً صلاتياً نحو الله خلال النهار. لهذا، كما ذكرنا أكثر من مرة، تذكّر الله بصلوات قصيرة. إنه جيد، وجيد جداً في بعض الأحيان، أن تحفظ عدداً من المزامير وتتلوها بتركيز فيما أنت تعمل، أو بين العمل والآخر، بدل الصلوات القصيرة. إن هذه الممارسة هي من أقدم العادات المسيحية وهي مذكورة ضمن قوانين القديسَين باخوميوس وأنطونيوس.

بعد قضاء النهار على هذا المنوال، يجب أن تصلّي باجتهاد أكبر وبتركيز أقوى في المساء. أكثِرْ من السجدات والتضرعات إلى الله، وبعد أن تضع نفسك بين اليدين الإلهتين مجدداً، إذهب إلى السرير مع صلاة قصيرة على شفتيك ونَمْ معها أو اتلُ بعض المزامير.

أيٌّ من المزامير يجب أن تحفظ؟ إحفظ تلك التي تنفُذ إلى قلبك عند قراءتها. المزامير الفعّالة تختلف بين شخص وآخر. إبدأ بـِ: إرحمني يا الله (المزمور الخمسون)، بعدها باركي يا نفسي الرب (المزمور ١٠٣)، سبحي يا نفسي الرب (المزمور ١٤٦). الأخيران هما مزامير الأنديفونات. أيضاً يوجد في القانون مزامير للمناولة المقدسة: الرب راعيّ (المزمور ٢٣)، للرب الأرض وكل ما فيها (المزمور ٢٤)، آمنت ولهذا تكلمت (المزمور ١١٦)، والمزمور الأول من صلاة المساء أللهم بادر إلى معونتي يا رب أسرع إلى إغاثتي (المزمور ٧٠). كما أن هناك مزامير الساعات وما شابه. إقرأ كتاب المزامير واختَرْ.

بعد أن تحفظ كل هذه، تكون دائماً متسلّحاً بالصلاة. عندما تحاربك بعض الأفكار، أسرع إلى الوقوع عند قدمي الرب إمّا بصلاة قصيرة أو بأحد المزامير، خاصة يا رب أسرع إلى إغاثتي، وسوف تتبدد الغيمة المشوِّشة سريعاً.

إذاً هاكَ كل شيء عن قانون الصلاة. على كل حال، سوف أكرر مرة أخرى أنه عليك أن تتذكّر أن كل هذه هي أدوات مساعدة، والأمر الأكثر أهمية هو الوقوف في حضرة الله فيما الذهن في القلب بورع وسجود صادر من القلب.

لقد خطر ببالي شيء آخر أخبرك إياه! قد تحصر كل قانون الصلاة بالسجدات فقط مع صلوات قصيرة من كلماتك. استقم ثم اسجد قائلاً يا سيد ارحمني أو غيرها من الصلوات، معبّراً عن حاجتك أو ممجداً الله وشاكراً له. عليك أن تحدد إمّا عدد السجدات أو طول الصلاة أو قمْ بالإثنين معاً حتى لا تصبح كسولاً.

إن هذا ضروري، لأن فينا نوع من الغرابة غير المفهومة. عندما، مثلاً، نباشر بأي نشاط خارجي، تمر الساعات كدقائق. أمّا عندما نقف للصلاة فما أن تمر بعض الدقائق حتى يبدو وكأننا نصلي منذ وقت طويل. هذا الفكر لا يضر عندما نقوم بالصلاة بحسب قانون محدد، إنما يشكّل تجربة كبرى إذا كان المرء يتلو صلوات قصيرة مع سجدات. هذا قد يقطع الصلاة التي بالكاد بدأت تاركاً وراءها شيئاً من الاعتقاد بأنها قد تمت كما يجب. لهذا أوجد ممارسو الصلاة الجيدون المسبحة، حتى لا يقعوا في هذه الخديعة الذاتية. مسبحة الصلاة هي للذين يريدون تلاوة صلوات من عندهم وليس من كتاب. إنها تُستَعمَل مع ترداد "يا ربي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ"، ومع كل مرة، نحرّك حبة بين أصابعنا. كرّر هذه الصلاة مرة بعد أخرى وحرّك حبة كل مرة. مع كل حبة اصنع سجدة، إمّا من الخصر أو إلى الأرض، كما تفضّل، أو بإمكانك عند الحبات الصغيرة أن تصنع سجدة من الخصر وعند الحبات الكبيرة سجدة إلى الأرض. فحوى القانون في كل هذا، هي أن تقوم بتكرار الصلاة عدداً محدداً من المرات مع سجدات يُضاف إليها صلوات أخرى بكلماتك. عندما تفكّر بتحديد عدد السجدات والصلوات، حدّد فترة زمنية، حتى لا تخدع نفسك بالاستعجال خلال قيامك بها. إذا تسلّل الاستعجال، بإمكانك أن تملأ الوقت بمزيد من السجدات.

إنّ عدد السجدات الواجب القيام بها مع كل صلاة محدد في نهاية المزامير بسلاسل من فئتين: الأولى للنشيطين والثانية للكسالى أو المشغولين. الشيوخ الذين يعيشون بيننا اليوم في الأساقيط والقلالي في أماكن مثل بلعام وسولوفكي يقومون بكامل الخدمة على هذا المنوال. إذا رغبت الآن أو في أي وقت آخر، بإمكانك تطبيق قانون صلاتك مثلهم. مع هذا، قبل أن تقوم بذلك، تعوّد أن تطبقه بالطريقة الموصوفة لك. قد لا تحتاج إلى قانون جديد. في أي حال، أنا مرسل

إليك مسبحة صلاة. جرّبها! لاحظ كم من الوقت تقضي في صلوات الصباح والمساء. قم بتلاوة صلواتك القصيرة مع صلاة المسبحة ولاحظ كم مرة تلف المسبحة خلال الوقت الذي كنت تستغرقه في هذه الصلوات. فلتكن هذه الكمية قياس قانونك. لا تقم بذلك خلال وقت صلاتك العادي، بل في وقت آخر وبنفس القدر من الانتباه. إذاً، قانون الصلاة هذا يتم بهذه الطريقة: الوقوف والسجود.

بعد قراءتك هذه الرسالة لا تظن أنني أقودك إلى الدير. أنا شخصياً، أول من أخبرني عن صلاة المسبحة كان علمانياً وليس راهباً. كثيرون من العلمانيين والرهبان يصلّون بهذه الطريقة، وهي قد تناسبك. عندما تتلو صلوات من الذاكرة دون أن تحركك بإمكانك أن تصلي مستعملاً المسبحة واترك الصلوات المحفوظة ليوم آخر. هكذا تتحسن الأمور.
سوف أكرر مرة أخرى أن جوهر الصلاة هو رفع الذهن والقلب إلى الله وهذه القوانين هي أدوات مساعدة لا نستطيع الوصول بدونها بسبب ضعفنا. ليباركك الله[٢٥٨].

[٢٥٨] رسالة من القديس ثيؤفان الحبيس عن قانون الصلاة، ترجمة الاب انطوان ملكي

مُلحق ٥
الصلاة و النصرة[٢٥٩]

ليس من أمورٍ يسندنا في مقاومتنا للشيطان وملائكته مثل الصلاة والتسبيح والشكر لله بكونه واهب النصرة في الحرب الروحية.

يليق بنا ألا نكف عن الصلاة من أجل نصرتنا، ومن أجل نصرة إخوتنا، فبالصلاة والحب يقدم الله لهم معونته ونعمته.

قيل إنه لما كان القديس تادرس البرامي (الشيهيتي) في الإسقيط أراد شيطان أن يقتحم قلايته، فإذا به يصلي فصار الشيطان مربوطًا في الخارج، وجاء آخر فحصل له مثل الأول، وإذ جاء ثالث ووجد رفيقيه مربوطين بالخارج سألهم عن سبب ذلك. أجاباه: "بداخل القلاية من هو واقف ليمنعنا من الدخول". غضب الشيطان الثالث وأراد اقتحام القلاية بالعنف، لكن القديس ربطه بصلاته. أخيرًا صاروا يطلبون أن يطلق سراحهم، فقال لهم: "امضوا واخزوا"[٢٦٠].

+ خدمة المزامير، والصلاة الربانية لأبينا السماوي، وصلاة التلاوة التي يرتجلها الإنسان ويطلب بها الرحمة والعون والخلاص، هذه الثلاثة مثل ثلاثة سهام بها تطعن الشياطين وتقتلهم[٢٦١].
مار اسحق السرياني

+لا تكفّ عن الصلاة حتى لا تجد الشياطين موضعًا تزرع فيه الزوان في حقلك (مت ١٣: ٢٥).
+لا تشفق على جسدك وتجعله ينام، بل بالحري انهض لتسبِّح.
+إن كنتَ لا تعرف أن تسبِّح فأشكر الله وقُل: "المجد لك يا رب"، وقُل هذه الكلمة مرات عديدة، وإذا استطعت فقُل ألف مرة: "المجد لك يا الله"، وسيرسل لك الرب ملاكه ليعينك على طرد الشياطين. ولا تَخَفْ منهم (إش ٨: ١٢)، لأنه قد أعطي لك ملاك حارس كما قال الكتاب: "ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجِّيهم" (مز ٣٤: ٧)، وقال أيضًا في موضع آخر: "يوصـــي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك" (مز ٩١: ١١).
ولا تجعل رجاءك في الملائكة وحدهم وتقول: "إنهم يحرسونني"، بل لا تكفّ عن الصلاة، لأنهم مكلَّفون بك حتى يسجِّلوا برّك ويقدموه إلى الله.
اِحفظ نفسك من الكسل، لأنه يثقِّل الجسد حتى لا يدعه يصلِّي.
ليكن جهادك في الصلاة والصوم، لأنه لا شيء يجعل الشياطين تهرب مثل الصلاة (مر ٩: ٢٩). فإذا كانوا يعوِّقونك عن النوم في الليل ويعذبونك ويقلقونك، فانهض وصلِّ لكي تطردهم مثل الهباء (مز ٣٥: ٥)، وأنت تجد راحة.
لا تقُل إنّ ساعة الصلاة لم تأتِ بعد، بل لا تكفّ عنها في كل وقتٍ، لأن الصلاة سهم يطرد الشياطين. وإذا ظهر لك الشيطان مثل كوكب الصبح أمام عينيك، فاعلم أن الذي ظهر لك هو الشيطان وليس هو الرب، وذلك لكي يُلقي نفسك في العُجب.

[٢٥٩] عن كتاب: الشيطان و نصرتنا عليه، ص ٢٣٤: ٢٣٩
[٢٦٠] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.
[٢٦١] جزء ١، ميمر ٥

إذا صلَّيتَ فلا تُسرع، تأمل أمام مَنْ أنت قائم. أسلك بهدوءٍ وصلِّ أكثر، لأنّ الصلاة تصير سهمًا يطرد الشياطين الذين يولُّون هاربين. وإن كنتَ تريد أن تذهب إلى أحدٍ، فصلِّ لله وقُل: "لأجل هذه الغاية يا رب أنا أخرج من القلاية".
القديس أنبا أرسانيوس

+ أعتقد أنه لا يوجد عمل أعظم من الصلاة لله، لأنّ في كل وقتٍ يريد الإنسان أن يصلّي يريد أعداؤه الشياطين أن يمنعوه أو يجعلوه مشتَّتًا، لأنهم يعلمون جيدًا أنه لا شيء يُبطل قوتهم سوى الصلاة لله. فكل عملٍ صالح يبذل فيه الإنسان ويتعب فيه لا بد أن يحصد منه الراحة، أمّا الصلاة فلأن الشياطين يجاهدون لكي يعوِّقوه عنها، لذلك فهو يحتاج إلى جهادٍ حتى آخر نسمة من حياته.
القديس أنبا أغاثون

+ قيل إنه كان في البرية راهبٌ كبير السن وقد طالت أيامه. وكان له تلميذان، كان أحدهما متغافلاً عن نفسه وعن الصلاة في أوقاتها متوانيًا فيما يقرِّبه إلى الله. وكان الشيخ معلِّمه يعاتبه ويعظه كثيرًا ويوصيه ألاّ يترك الصلاة، بقوله: "يا بُنيَّ، ليس شيئًا أكثر ضررًا للراهب من ترك الصلاة، وليس شيئًا يحبه المجرِّب مثل ترك الصلاة، فاحذر يا بُنيَّ من أن تقوى الشياطين عليك وتهلكك".
قلق أحد الاخوة من الأفكار، فذهب إلى أحد الشيوخ وسأله، قائلاً: "يا أبي، ما هي هذه التجارب التي لحقت بضعفي"؟ فتنهّد الشيخ وقال: "يا بُنيَّ، لا يُدهشك هول العساكر إن كان الله معك، فإن الشياطين إذا رأوا النفس تسمو نحو الله يغتاظون عليها بحسد، ولأن الله لا يحضر هو وملائكته (بطريقة واضحة) في المحن؛ فلا تفتر أنت عن الاستغاثة به بتواضع قلب. ومتى خطرت عليك أفكار كهذه فأذكر عظم قوته المنيعة وانظر إلى ضعفك واطلب الله بقلبك فتجده سريعًا".
نال شيخٌ نعمة القدرة على رؤية ما يحدث، وقال: "رأيتُ أخًا يهدُّ في قلايته والشياطين واقفة خارج القلاية، فعندما كان الأخ يهدُّ لم تستطع أن تدخل، ولكن عندما توقف دخلت الشياطين القلاية وصارعت معه".
بستان الرهبان

+ حينما يطير النوم من عيني، وأقضي الليل تباعًا وأنا مسهدًا وقد دبّ فيّ الهزال من الأرق بفعل الشيطان، حارمًا أجفاني من الهدوء والراحة الليلية، عندئذ يجب عليّ أن أصلي متنهدًا: "يا الله التفت إلى معونتي. يا رب أسرع وأعني[٢٦٢]".
+ في تسبيحنا بالمزامير نتذكر إهمالنا نحن أو غيرتنا الناقصة، ونتذكر العناية الإلهية الممنوحة لنا، أو مثيرات العدو (الشيطان) ضدنا، ونسياننا... أو ضعفنا البشري أو الجهل الذي يغشنا. كل هذه المشاعر عبّرت عنها المزامير، وإذ ننظر ما يحدث معنا في مرآة ناصعة للغاية نفهمها بأكثر وضوح. فلا نعرف المعنى بمجرد قراءة النص، إنما نختبره وندركه مقدمًا. وهكذا يبلغ ذهننا إلى تلك الصلاة غير الفاسدة التي تحدثنا عنها في المناظرة السابقة[٢٦٣].
الأب إسحق

[262] Cassian: Conferences 10:10.
[263] Cassian: Conferences 10:11.

+ يُقصد بالصلاة "ليأتِ ملكوتك" أن الله يملك على العالم كلّه حين يتوقف الشيطان عن ملكه، أو أن الله يملك على كل واحدٍ فينا، ولا تملك الخطيّة بعد في جسد الإنسان المائت[٢٦٤].
[عن صديقه الناسك بونسيوس]

+ إنه لا يبالي (بمحاربات الشيطان)، ولا يخاف، إذ هو متسلح بأسلحة الرسول من رأسه إلى قدميه. يصغي إلى الله، إذ يقرأ الكتاب المقدس، ويتحدث مع الله، إذ يصلي إلى الرب... في اختصار سيحاربه الشيطان، لكن المسيح يدافع عنه.
القديس چيروم

+ إذا طلبت النصرة على الشهوات وطرد القوات الغريبة المحاربة للعقل بسهولة، اجمع نفسك في داخلك بمساعدة الله عن طريق الصلاة، وتعمق في أغوار قلبك لتواجه هناك جبابرة الشيطان الثلاثة:
أعنى الكسل (أو الاستهتار) والنسيان والجهل.
هؤلاء الثلاثة هم الطعام الذي تتقوت عليه كل الشهوات المرذولة وتنمو وتتأصل في القلوب المتراخية، والنفوس الرافضة التأديب.
وعن طريق الانتباه الدقيق إلى نفسك ويقظة العقل وبالعون السماوي تستطيع حتمًا أن تكشف هذه الشهوات الشريرة، التي يجهلها البعض وربما لا يتوقعونها، مع أنها أكثر الشهوات خبثًا وعنادًا، وإن كانت أسلحة البرّ المضادة لها كفيلة بفضحها[٢٦٥].
الأب مرقس الناسك

يا لفاعلية الصلاة وعظمة قوتها!
تقدر الصلاة أن تفرض الضغوط على الشيطان الذي يفرض الضغوط على جنس البشر.
تقدر أن تخلص من يديه، وتعطى الحرية من كافه الإغراءات في العالم.
لهذا يوصينا الله: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مت ٢٦: ٤١) و أيضًا: "اسهروا إذا وتضرعوا في كل حين، لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفوا قدام ابن الإنسان" (لو ٢١: ٣٦).
إذا لم يكن الشيطان راغبًا في الرحيل بعد، بل بغطرسة يتقوى علينا، وفي لحظةٍ ما يغرينا بتملقاته لكي يفترسنا بطريقه أفضل عند التذمر، ويصرخ بمرارة كي يرعب قلوبنا، يجب ألا نظهر ضعفًا وننهار بجبنٍ أمامه. بل يجب أن نشدد أنفسنا بالأكثر ضده، مستخدمين كل الوسائل الممكنة لكي نقاومه ونبعده عنا، صارخين نحو الله لنرجوه أن يخلصنا منه (مز ٥٥: ١٦).
نعم ومن عمق قلوبنا يجب أن "نقدم بصراخٍ شديدٍ ودموع طلبات وتضرعات" (راجع عب ٥: ٧)، ونناديه ليسمع صراخنا وينقذنا من يد الشيطان، لأن له القدرة على خلاصنا وتمكيننا من طرده عنا مخزيًا ورأسه مضروبًا بحجارة روحية تنطلق نحوه من أفواهنا.
الذين يقدمون لله تقدمات التسبيح – "ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه" (عب ١٣ :١٥) – يجب أن يكونوا على حذرٍ من فخاخ الشرر. لأن الشيطان يختبئ ليهجم بغتة، ليأخذك على حين غره في وقت تقديمك صلاة الشكر.
سوف يقف ويشتكى عليك أمام الله، مثلما فعل مع ذاك الفريسي في الهيكل (لو ١٨: ١١-٤٤).

[264] On Matt. 6:10.

[٢٦٥] الأب مرقس الناسك: رسالة إلى الراهب نيقولاس، ٢٤.

هذه المرة لن يمدحك بإسراف على أعمال صالحة كما فعل مع الفريسي، لكنه سيسكرك بنوع آخر من الكبرياء – كبرياء بصوتك العذب وجمال ترنيمك. "أحلى من العسل وقطر الشهاد" (مز ١٩: ١٠) وذلك لعدم إدراكك أن هذه هبه من الله وليست منك.
يريد ابن الظلمة أن يجعلنا أبناء الظلمة مثله، فنغوص في سُبات عميق، ويفترسنا بشدةٍ، خصوصًا وقت الظلمة، حينما يملك الظلام، فيخرج مهرولاً ليفترس خلسة. خصوصًا وكما يقول الكتاب المقدس عن الوحش المفترس (مز ١٠٤: ٢١) إنه هو نفسه الظلمة، محب الظلام، لكنه يرانا في نور الصلاة ساهرين مع ربنا، متشبهين بملائكة النور بتسابيحنا الروحية وأغانينا، نمجد الله خالقنا. إنه يلتهب بغيرة متقدة، ويمتلئ حسدًا، إذ يرى البشر يمارسون سهر الملائكة، فيحاول أن يغمسنا في ثقل النوم لكي نشاركه ظلمته[٢٦٦].
الأب مرتيروس السرياني[٢٦٧]

+ أننا نقدّم (للأخ) بالأكثر عون الملك، الذي نسمّيه المعونة الإلهيّة... وذلك خلال صلواتنا التي نقدّمها، والقادرة أن تبطل أعمال الشيّاطين المثيرة للحروب التي تنقض العهود وتفسد السلام.
بالصلاة نقدّم له عونًا أكثر ممّا يقدّمه له الذين يدخلون معه ليسندوه في المعارك الحربيّة... نحارب من أجله بجيش خاص، خلال التقوى والصلوات.
العلامة أوريجينوس

[266] The Book of Perfection.

[٢٦٧] مرتيريوس أو Sahdona (الاسم السرياني) ولد على مقربة من كركوك في العراق الحديثة، بالقرب من نهاية القرن السادس.

مُلحق ٦
الصلاة بوقار، للقديس مار إسحق

وبحسب الكرامة التي يظهرها الإنسان في شخصه تجاه الله أثناء الصلاة، بجسده وعقله كليهما، هكذا ينفتح له الباب لقبول المعونة، وتقوده إلى نقاوة الحركات والاستنارة في الصلاة. لأنه على قدر اهتمامه بالزي الحسن أثناء الصلاة، إذ يظهر الحشمة والتوقير، ويبسط يديه نحو السماء ويقف بوداعة، أو يقع على وجههِ على الأرض، هكذا يؤهل لنعمةٍ عظيمة من العلاء (من أجل هذه الأفعال المتضعة). فمن يزين صلاته على الدوام بمثل هذا الزي الخارجي، يؤهل سريعاً لفعل الروح القدس، من أجل أنه يعظِّم الرب في عينيه بالوقار والتكريم الذي يظهره في الذبائح التي يقرِّبها أمام الرب (أي الصلوات) في الأوقات المحددة بناموس الحرية.

١٨- فاعلموا، يا إخوتي، أن الله يطلب (أن نهتم) جداً جداً أن نُظهر في كل الأعمال التي من أجله، الزي الخارجي الحسن وأنواع التوقير والتكريم اللائق بكل اهتمام. وذلك ليس من أجله، بل من أجل منفعتنا نحن؛ لأنه هو نفسه لا ينتفع بأشياءٍ مثل هذه، ولا يُضار (إذا نحن أهملناها)، بل إنها بالأحرى تكون من أجل طبيعتنا الضعيفة، ولو لم تكن ضرورية لما اتخذ لنفسه مثل هذه الأشكال وهذا الزي في تجسده بنوع من السياسة، وهكذا تكلم معنا في الأسفار المقدسة.

١٩- إن كثيرين استهانوا بهذه الأشكال الخارجية، وزلُّوا بأفكارهم معتبرين أن الصلاة في القلب تكفي لله، وأنه لا يريد منا شيئاً آخر؛ ويدَّعون أنه إذا كانوا مضَّجعين على ظهورهم أو جالسين باستحقار، يكفي أن يكون لهم فقط تذكار داخلي لله؛ ولا يهتمون أن يزينوا عملهم الظاهر بالوقوف الحسن حسب قوة أجسادهم وترتيب الحواس وبرسم علامة الصليب عليها. كما أنهم حين يسجدون على الأرض لا يهتمون أن يعملوا ذلك بتوقير ورعدة كمن يتقدم إلى لهيب نار، ولا يعتنون أن يتخذوا لأنفسهم أشكالاً حسنة وزياً وتوقيراً من الداخل والخارج، أو أن يقدِّموا للرب توقيراً وكرامة خاصة بترتيب أعضائهم، والخشية والحياء على وجوههم. وذلك لأنهم لم يفطنوا إلى مكر العدو وصعوبته، ومن هنا أسلموا لفعل الزور والبهتان، ولم يفهموا أنهم ما زالوا إلى الآن مائتين وقابلين للميالة بحركة نفوسهم التي صارت خاضعة للانحراف، ولم يتحققوا من أنهم لم يبلغوا بعد للدرجة الروحانية.

٢٠- ولستُ أعني بقولي هذا أن نغصب المرضى والضعفاء أن يكونوا تحت هذا الناموس، أو إنه ينبغي للإنسان أن يتدبر بما هو غير مستطاع، بل قولي هو أنه ينبغي أن يكون عملنا بخوف ورعدة ووقار. فكل شيء يُعمل بوقار ورعدة يقبله الله كالقربان المختار، حتى ولو خرج عن حد الناموس وعُمل بخلاف العادة تحت الاضطرار. وهو لا يلوم الشخص الذي يعمل هكذا، وليس هذا فحسب، بل إنه يقبل بمسرة تلك الأشياء الحقيرة الضئيلة التي تُعمل لأجله بإرادة جيدة كالأشياء العظيمة الكاملة. فحتى إن كانت بغير الواجب، فإن فاعلها يُحمل بالرحمة من قِبل الله؛ لأنه عارف بضروريات طبعنا من قبل أن يخلقنا.

٢١- لأن الله رحوم متحنن صالح، لا يحاسب ولا يدين الإنسان على عوارض الطبع وضروریاته (أي الأعمال التي تعمل عن اضطرار)، حتى ولو كانت تستوجب اللوم، لكنه يدين على الأعمال المستطاعة لدينا إذا احتقرت وأهملت منا. إنه لا يدين حتى على ميالة الطبع (نحو أي شيء) حتى ولو كان خطأ عظيماً وبالإرادة، إذا كان حدوثه بنوع عارض، [ولكنه يدين على الفعل الذي ينتهي إليه، ويؤدب بالعدل]، لعلمه أن ذلك سيقود فاعله إلى الندم وحزن الضمير، وبالأكثر إذا لم يُسلِّم الشخص نفسه بالكمال للهلاك. وإن كنا قد تكلمنا بهذا

كله، لكننا نلوم الذين يفسدون ترتيب الصلاة بعنادهم، إذ أنهم بحماقة فكرهم يتصورون أنهم صاروا كاملين، وبمعرفة كاذبة يخترعون لأنفسهم شيئاً أو آخر بجهالة[٢٦٨].

[٢٦٨] ميمر ٢: ١٧- ٢٠

مُلحق ٧
الصلاة بالمزامير، للقديس اثناسيوس الرسولي[٢٦٩]

إلاّ أن سفر المزامير له أيضًا نعمة معينة خاصة به ونوع نادر من الإدراك الحسِّي المميَّز، لأنه إلى جوار صفاته التي يشترك فيها مع بقية الأسفار، فهو يملك أيضًا نعمة فائقة يتّسم بها بصفة خاصة: فهو يعكس ميول كل نفس وتقلُّباتها والإصلاحات التي تطرأ عليها، وكل هذه تتمثل وتتصور داخل السفر ذاته. لهذا السبب، فإن أي إنسان له رغبة لا حدود لها في أن يأخذ ويفهم من هذا السفر لكي يشكّل نفسه، يجد ذلك مدوَّنًا فيه.

إنك تسمع في الأسفار الأخرى الناموس الذي يوصي بما يجب أن تفعله أو ما هو ممنوع فقط، ويُصغي المرء للأنبياء ليرى مجيء المخلِّص فحسب، ويرجع إلى الأسفار التاريخية ليمكنه أن يعرف أعمال الملوك والقديسين. أما في سفر المزامير، فبالإضافة إلى إصغاء المرء ليمكنه أن يعلم كل ذلك، فهو يتأمل ويتعلّم فيما يخص ميول نفسه هو. وأكثر من ذلك فهو يمكنه مما يختبره ومما يُظلَم فيه أن يحصل من هذا السفر على صيغة الكلام حتى إنه حينما يُصغي إليه لا يستخف بالأوجاع فحسب، بل إنه يعرف أيضًا الكلمات الضرورية وما الذي يفعله لكي يُشفَى من هذه الأوجاع.

في الأسفار الأخرى يوجد كلام يمنع (أو يحرِّم) أمورًا مرذولة، ولكن هذا السفر يصف كيف ينبغي عليك أن تنأى بنفسك عن الخطية، فهو يصف لك ذلك النوع من التوبة الذي يوقف الخطية، ثم كيف تكون التوبة بالإضافة إلى أن الكلمات ذاتها التي يجب استعمالها في هذه التوبة موجودة في هذا السفر.

تفكّر في كلمات الرسول بولس: «إن الضيق (في النفس) يُنشئ صبرًا، والصبر تزكية، والتزكية رجاءً، والرجاء لن يتركنا في خزي» (رو٥: ٣-٥ حسب النص)، ونحن نقرأ في المزامير كيف يجب أن نتحمّل الضيقات، وماذا ينبغي أن يقول المرء أثناء الضيقة وبعدها، وكيف يُمتَحن كل واحد، ونوع الكلام اللائق بالذين يُلقون رجاءهم على الرب، كل ذلك مكتوبٌ ومنقوشٌ في هذا السفر.

وأيضًا توجد وصية أن نشكر في كل الأحوال (١تس٥: ١٨)، أما سفر المزامير فيعلّمنا ما هي الكلمات التي نقولها عندما نشكر. وأكثر من ذلك، فعندما نسمع من آخرين أن «الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى ... يُضطهدون» (٢تي٣: ١٢)، فإن المزامير تعطينا توجيهًا في هذه الأمور فنعرف أي كلام ينبغي أن يصرخ به مَنْ يلجأ إلى الله والكلمات الملائمة لأن ترفعها إليه عندما تكون مضطهَدًا وبعد أن تنجو من الاضطهاد. لقد تعلّمنا أن نبارك الرب ونرفع تسبيحنا إليه، أما في سفر المزامير فنحن نعطَى نموذجًا في كيفية الترتيل للرب وبأيّة كلمات نعبِّر عن التسبيح المناسب، وهكذا يمكننا أن نجد لكل شخص أيًّا كان الأناشيد الإلهية المناسبة له ولحالات الاضطراب أو الثبات الانفعاليين فيه.

يبدو لي أن المزامير مثل مرآة تتأمل فيها ذاتك وميول نفسك الداخلية، وبذلك تقرّ بفهمك لها، وعندما تُصغي لما يُقرَأ فإنك تسلِّم بأن ما يُقال في نشيد المزمور إنما يخصُّك أنت، فإمّا أن طعنه لضميرك يجعلك تتجه إلى التوبة، وإمّا أنك بسماعك عن الرجاء في الله والمعونة التي

[٢٦٩] عن: الرسالة إلي مارسلينوس، فقرات ١٠ ، ١٢، ١٥: ٢٧

تمتد إلى الذين يصيرون من المؤمنين، تفرح بمثل تلك النعمة التي تُمنَح لك وتبدأ في الشكر لله.
فمثلاً عندما تُدرك في المزمور الثالث شيئًا من ضيقاتك وتعتبر أن ما عبّر عنه المزمور يخصّك أنت، فإنك في المزمورين ١١ و١٦ تعبِّر عن رجائك وتقواك، في حين أن كلمات المزمور الخمسين تجد أنها تعبِّر عن توبتك. هكذا أيضًا فإنك ترتل المزامير ٥٣ و٥٥ و٥٦ و١٤١ ليس كأن واحدًا آخر هو الذي يُضطهَد، ولكن كأنك تُنشد للرب من اختبارك أنت. وبذلك يكون كل مزمور بجملته قد قيل وأُنشئ بالروح القدس، حتى إننا – كما قلنا سابقًا – ندرك في كل ذلك ميولنا الداخلية. لقد قيلت جميع المزامير عنا نحن، وكلامها ينبغي أن يُؤخذ على أنه خاص بنا كمذكِّر لنا بنزعات نفوسنا، وكتعديل لسلوكنا اليومي، وهكذا يمكن أن يكون ما تعبِّر عنه المزامير كنماذج وأمثلة لنا.

إذا رغبتَ أن تقرر أن ثمة إنسانًا مباركًا، فتعلّم كيف تفعل ذلك، ومَنْ هو الذي تدعوه هكذا، والكلام الذي تقوله تجده في المزامير ١ و٣١ و٤٠ و١١١ و١١٨ و١٢٧. وعندما تجد خطأً في مؤامرة اليهود ضد المخلِّص فلديك المزمور الثاني، وإذا اضطُهدتَ من شعبك ووجدت جمهورًا بأكمله ضدك فاتلُ المزمور الثالث، وإن كنتَ بعد أن انزعجت بشدّة صرختَ إلى الرب وسُمعت صلاتك، وأنت الآن تريد أن تقدِّم الشكر فرتل المزامير ٤ و٧٤ و١١٤.

وعندما ترى أن فاعلي الشر يخططون للترصُّد بك وتريد لصلاتك أن تُسمَع فانهض في الفجر ورتل المزمور الخامس. وعندما تشعر بعدم رضى الرب، وإذا رأيتَ أنك منزعج من ذلك، فيمكنك أن تتلو المزمورين ٦ و٣٧. وعندما يكيد لك أناس معينون، كما فعل أخيتوفل ضد داود، وقد أخبرتَ أنت بذلك، فرتل المزمور السابع وضع ثقتك في الله الذي سينجيك.

(١٦) عندما ترى نعمة المخلِّص ممتدّة في كل مكان، والجنس البشري يخلص، وإذا أردتَ أن ترفع صوتك للرب فرتل المزمور الثامن، أو يمكنك أن تستعمل نفس المزمور بالإضافة إلى المزمور ٨٣ للشكر على حصاد محصول الكرمة. وعندما يُدان العدو والخليقة تخلص، فلا تنسب المجد لذاتك، بل اعلم أن هذه هي نصرة ابن الله ورتل له بكلمات المزمور التاسع. وإذا أراد أي إنسان أن يُزعجك فاستمر في تمسُّكك بثقتك في الرب بقوة وانشد المزمور العاشر.

عندما ترى عجرفة الجمهور والشر منتشرًا في كل مكان حتى بدا أنه لم يتبقّ واحد مرضيًّا عند الله التجئ إلى الرب واتلُ المزمور ١١. ورغم أن كيد الأعداء يدوم لمدة طويلة فلا تيأس كما لو كان الله قد نسيك، بل ادعُ الرب مرتلاً المزمور ١٢. وعندما تسمع بعض الناس يجدّفون على العناية الإلهية، فلا تنتحل لنفسك عذرًا لمشاركتهم في فجورهم، بل التمس لهم الرحمة من الله مردِّدًا المزمورين ١٣ و٥٢. بل وإن أردتَ أن تعرف نوع الإنسان المواطن في ملكوت السموات فرتل المزمور ١٤.

(١٧) عندما تكون في مشقة حيث يحيط بك أعداء مهدِّدين نفسك، فاتلُ المزامير ١٦ و٨٥ و٨٧ و١٤٠، أو إن أردتَ أن تعرف كيف صلّى موسى النبي فعندك المزمور ٨٩. كذلك عندما تتخلّص من أعدائك وتُنقَذ من الذين يتتبعونك رتل المزمور ١٧. وعندما تتعجب من نظام الخليقة ونعمة العناية الإلهية وإرشادات الشريعة الإلهية المقدسة أنشد المزمورين ١٨ و٢٣. وعندما ترى آخرين في شدّة عزّهم بأن تصلّي معهم بكلمات المزمور ١٩. وعندما ترى نفسك تحت رعاية الرب وإرشاده الآمن فافرح بكلمات المزمور ٢٢.

عندما يحيط بك الأعداء ارفع نفسك إلى الله بالمزمور ٢٤ وأنت ترى فاعلي الشر هؤلاء يهربون، أما إذا أصرّوا بعناد وحاولوا بأياديهم الملطّخة بالدم أن يطرحوك ويقتلوك، تذكّر أن الله هو القاضي العادل (لأنه هو وحده البار، في حين أن كل ما هو بشري فهو محدود)، وهكذا اتلُ المزامير ٢٥ و٣٤ و٤٢. وإذا عانيتَ من هجمات الأعداء القاسية العنيفة وهم يحتشدون ضدك مزدرين بك كأنك غير ممسوح ولذلك يحاربونك، فلا تستسلم لهم بل انشد المزمور ٢٦([٢٧٠]). وإن كنتَ تعاني من ضعف الطبيعة البشرية عندما تزداد المكائد المخزية ضدك لدرجة أنك بصعوبة تجد أية راحة، فاصرخ إلى الله بالمزمور ٢٧.

وإذا أردتَ – بروح الاعتراف بالجميل – أن تعلّم كيف ينبغي أن يقدِّم المرء ذبيحة (أو تقدمة) روحية للرب، فرتل المزمور ٢٨. وأكثر من ذلك، ففي تكريسك لبيتك – أي نفسك التي ترحب بالرب – والبيت الجسدي الذي تسكن فيه جسديًا، فافرح ورتل المزمورين ٢٩ و١٢٦، والأخير من مزامير المصاعد([٢٧١]).

(١٨) عندما تجد نفسك مكروهًا ومضطهَدًا من جميع أقربائك وأصدقائك من أجل الحق، فلا تغتم بسببهم ولا لأجل نفسك، وعندما يبتعد عنك جميع معارفك فلا تخف بل انسحب من وسطهم واحفظ عينيك مثبّتتين على المستقبل مرتلاً المزمور ٣٠. أو عندما ترى أناسًا يُفتَدون ويُعمّدون من وسط جيل هالك وتتعجب من تعطُّف الله على الجنس البشري، حينئذ رتل لهم المزمور ٣١. وحينما تجتمع مع أناس أبرار وحياتهم مستقيمة، فرتل معهم المزمور ٣٢. أو إذا صادفك أعداء ولكنك بتعقُّل هربت منهم ومن مكائدهم، فاجمع بعض ذوي الميول الطيبة واشكر معهم بكلمات المزمور ٣٣.

وعندما ترى بعض المتعدّين على الناموس وهم متحمسون لشرورهم، فلا تنسب هذا الشر للطبيعة البشرية – فهذا ما يعلّم به الهراطقة – بل بتلاوة المزمور ٣٥ اعلم أنهم هم سبب سلوكهم الخاطئ. وإذا كان هؤلاء الأشرار الذين بلا ناموس يقاومون المساكين، وتريد أن تنصح هؤلاء الأخيرين ألاّ يعيروهم التفاتًا أو يثيرهم الحسد – طالما أن مثل فاعلي الشر هؤلاء سيهلكون سريعًا – فاتلُ لنفسك وللآخرين المزمور ٣٦.

(١٩) وإن أردت – من الناحية الأخرى – أن تصلّي من أجل نفسك عندما ترى العدو يعدّ هجماته عليك، فخير وسيلة تسلّح بها نفسك للمعركة أن ترتل بكلمات المزمور ٣٨. وأثناء الهجوم، وأنت تعاني من الشدائد، وتريد أن تعرف منفعة الصبر الراسخ رتل المزمور ٣٩. وعندما تجد أن كثيرين فقراء ومحتاجين وتريد أن تشفق عليهم، فتعترف بسخاء البعض من جهة، ومن جهة أخرى تحث آخرين على أعمال الرحمة مثلهم، فاتلُ المزمور ٤٠. وإن كنتَ في تطلُّعك الشديد إلى الله تسمع اللعنات من أعدائك فلا تنزعج، بل اعلم أن مثل هذا التطلُّع يحمل ثمرةً خالدةً، وعزِّ نفسك بالرجاء في الله، وعندما يُنهضك هذا الرجاء ثم يُطفئه حزن أرضي قليل، فاتلُ المزمور ٤١.

وإذا أردتَ أن تتذكر على الدوام إحسانات الله على الآباء وخروجهم من مصر ورحيلهم في البرية، وكيف أنه في حين أن الله صالح فإن البشر ناكرون للجميل، فلديك المزامير ٤٣ و٧٧ و٨٨ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ و١١٣. وعندما تهرب ملتجئًا إلى الله وتُنقَذ من الشدائد المحيطة بك، وأردتَ أن تشكر الله وتُحصي أفضاله عليك فعندك المزمور ٤٥.

(٣) عنوان هذا المزمور في الترجمة السبعينية هو: "لداود قبل مسحه".
(٤) عنوان المزمور ٢٩ في السبعينية هو: "نشيد عند تدشين بيت داود".

(٢٠) ولكنك بعد أن تكون قد أخطأت ثم تُبت بخجل والتمستَ الرحمة فلديك كلمات تصلح للاعتراف والتغيير في المزمور الخمسين. وعندما تكون قد افتُريَ عليك أمام ملك شرير وترى المفتري عليك يتباهى بأعماله، فاعتزل واتلُ المزمور ٥١. وعندما تكون مضطهَدًا وقد سُلِّمتَ إلى المفترين الذين في نيتهم أن يفعلوا كما فعل الزيفيون والوثنيون (الفلسطينيون) مع داود النبي (١صم ٢٣: ١٩-٢٤)، فلا تيأس بل ادعُ الرب ورتل له تسابيح من المزمورين ٥٣ و٥٥.

وحتى لو دخل ذاك الذي يقتفي إثرك مقتربًا دون أن يدري إلى نفس المغارة التي تختبئ فيها (انظر ١صم٢٤: ٣)، فلا تخف لأن لديك أقوالاً إلهية لمثل هذه الضرورة وكلمات للتعزية قد دُوِّنت لأجلك في المزمورين ٥٦ و١٤١. وإذا أوصى المتآمر بحراسة بيتك ووجدتَ وسيلة للهرب فانسب الفضل للرب، كأن ذلك منقوش على لوح قلبك تذكارًا لكي لا يهلكك، واتلُ المزمور ٥٨. وإذا وبّخك الأعداء وضايقوك وتخلّى عنك الذين أظهروا أنهم أصدقاءك إذا تكلموا بحماقة وقد حزنتَ قليلاً من ثرثرتهم الفارغة، إلاّ أنك تستطيع أن تتعزّى بتسبيحك لله قائلاً كلمات المزمور ٥٤. والذين يخدعونك في وجهك رافعين صوتهم عليك قُل في مواجهتهم المزمور ٥٧. أما الذين يندفعون ضدك بشراسة ويريدون أن يأخذوا نفسك (أو يقتلونك)، فصارعهم بخضوعك لله وتشجّع. وبقدر ما يكثر هياجهم بقدر ما تكون طاعتك للرب أكثر، واتلُ المزمور ٦١.

وإن كنتَ وأنت مضطهَد تهرب إلى البرية، فلا تخف كأنك وحيد في ذلك المكان لأن الله موجود هناك، فانهض مبكرًا في الصباح واتلُ المزمور ٦٢. وعندما تكون خائفًا من الأعداء الذين لا يكفّون عن أن يكمنوا لك بل يبحثون عنك باستمرار، فلا تستسلم ولا قيد أنملة حتى عندما يكون عددهم هذا مقداره. إن ضرباتهم ستكون مثل النبل (جمع نبلة) التي يلهو بها الأطفال، وحينئذ رتل المزامير ٦٣ و٦٤ و٦٩ و٧٠.

(٢١) عندما تريد أن ترتل تسبيحًا للرب فلديك المزمور ٦٤، وإذا رغبتَ أن تعلِّم عن القيامة فعندك المزمور ٦٥، وعندما تطلب الشفقة من الله فسبِّحه بالمزمور ٦٦. وعندما ترى الفجّار في سلام وازدهار وهم يعيشون كما يريدون في حين أن الأبرار في شدائد، فرتل المزمور ٧٢ لئلاّ تعثر وتهتز بعنف. وعندما يكون الله غاضبًا على الناس فلديك كلامًا حكيمًا معزيًا في المزمور ٧٣. وعندما يكون من الضروري أن تقدم اعترافًا كاملاً فرتل المزامير ٩ و٧٤ و٩١ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ و١١٠ و١١٧ و١٣٥ و١٣٧.

وعندما تريد أن يخزى اليونانيون (أي الفلاسفة) والهراطقة حيث إن معرفة الله غير موجودة بينهم بل في الكنيسة الجامعة وحدها، حينئذ يمكنك أن ترتل المزمور ٧٥. وعندما يسيطر الأعداء حتى على أماكن الملجأ وتكون أنت في ضيق من جميع النواحي ومنزعج بشدّة فلا تستسلم في يأس، بل صلِّ وعندما يُسمع صراخك اشكر الله قائلاً المزمور ٧٦. وإذا ظل الأعداء يقتربون ويدنسون بيت الله ويقتلون القديسين ويلقون بأجسادهم لطيور السماء، فلا تنحني لوحشيتهم، بل شارك القديسين في آلامهم وتوسل إلى الله قائلاً المزمور ٧٨.

(٢٢) وفي يوم العيد، عندما تريد أن تنشد تسبيحًا للرب، فادعُ خدّام الله معًا ورتلوا المزمورين ٨٠ و٩٤، وحينئذ يحيط بكم الأعداء مرةً أخرى من كل جانب مهدِّدين بيت الله ومتحالفين ضد مخافة الله، فلا تخف من عددهم أو قوتهم، بل تمسّك بكلام المزمور ٨٢ كما بمرساة للرجاء.

وإن اختبرت – كما حدث مع الرسول بولس – اشتياقًا شديدًا إلى بيت الله ومسكنه الأبدي فلديك كلمات المزمور ٨٣. وعندما يخمد الغضب أخيرًا وتتحرر من أسرك وتريد أن تشكر الله فلديك كلمات المزمورين ٨٤ و١٢٥.

وإذا رغبتَ أن تعرف الفرق بين الكنيسة الجامعة والكنائس المنشقة ومقدار ارتباك (أو تقلقل) هذه الأخيرة، فيمكنك أن ترتل المزمور ٨٦. ولكي تشجع نفسك والآخرين على مخافة الرب، وحيث إن الرجاء في الله لا يخزى إطلاقًا بل يُهيّئ النفس لعدم الخوف، فرتل لله بكلمات المزمور ٩٠. أتريد أن تنشد في يوم السبت؟ لديك المزمور ٩١([٢٧٢]).

(٢٣) أتريد أن تشكر في يوم الرب ؟ لديك المزمور ٢٣، أو في ثاني يوم من الأسبوع؟ فاتلُ المزمور ٤٧. وإن أردتَ أن تسبح في يوم الاستعداد ([٢٧٣])، فلديك المزمور ٩٢، لأن هذا هو وقت الصلب عندما يكون بيت الرب قد بُنيَ رغم محاولات الأعداء لمنع ذلك، فمن الملائم أن تُنشد لله لأجل هذا الانتصار ذلك المزمور ٩٢. أما عندما يكون بيت الرب قد هُدم بعد أن استُحوذ عليه ثم أُعيد بناؤه بعد ذلك، فانشد المزمور ٩٥([٢٧٤]).
وعندما تكون الأرض قد استقرت ويُعاد تعميرها بعد حرب، ويكون الرب هو الذي يملك عليها، وأردتَ أن تتغنّى بهذه الأحوال، فلديك المزمور ٩٦. أتريد أن ترتل في اليوم الرابع من الأسبوع؟ لديك المزمور ٩٣، لأنه في هذا اليوم تمت خيانة الرب وسُلِّم لحكم الموت الانتقامي، ثم انتصر علانية، لأنك إذا قرأتَ الإنجيل تجد أنه في اليوم الرابع من الأسبوع تآمر اليهود على الرب حيث تصدّى للشيطان بجراءة من أجلنا، فرتل المزمور ٩٣.

وعندما ترى ربوبية الرب وعنايته في كل شيء وتريد أن تعلِّم آخرين عن الإيمان به وطاعته، حينئذ حثهم أولاً على الإذعان للتسبيح بالمزمور ٩٩. وعندما تعلم بقوة عدل الله، ولكن طالما أنه هو الذي يحكم فإن العدل والرحمة يمتزجان معًا، حينئذ ففي اقترابك إليه لديك كلمات المزمور ١٠٠.

(٢٤) وحيث إن طبيعتنا ضعيفة، فإن كنتَ متضايقًا من كرب هذه الحياة، فلديك حينئذ عزاء عن إعيائك في المزمور ١٠١. وحيث إنه من الملائم أن نشكر الله على كل حال وفي كل حال، فعندما تريد أن تباركه لديك المزموران ١٠٢ و١٠٣ لأجل تشديد نفسك.

أتريد أن ترتل لله وأنت تعرف كيف ترتل وفي أي الأحوال وأي تسبيح ملائم تقوله؟ عندك المزامير ١٠٤ و١٠٦ و١٣٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧ و١٤٨ و١٥٠. هل عندك إيمان؟ وهل تؤمن بالصلوات التي تتلوها؟ إذن فقل المزمور ١١٥. بل هل تدرك أنك بواسطة أعمالك تحرز تقدُّمًا، لكنك تقول مع ق. بولس: «أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قدام» (في٣: ١٣)؟ لديك مزامير المصاعد الخمسة عشر لكل خطوة في الطريق.

(٢٥) ولكن إن كنتَ مسبيًا بأفكار غريبة وتدرك في نفسك أنك قد انحرفت، ورغم توبتك وعزمك على أن تكفّ عن ذلك في المستقبل، إلاّ أنك لا زلتَ قريبًا من الذين تغلّبوا عليك عندما كنتَ تخطئ، حينئذ اجلس وابك بالحقيقة كما فعل الناس قائلاً المزمور ١٣٦. وبعد أن

(٥) عنوان هذا المزمور في السبعينية هو: "مزمور تسبيح ليوم السبت".
(٦) أُطلقت هذه الكلمة على يوم الجمعة العظيمة لأنه كان هو يوم الاستعداد لفصح اليهود عندما صُلب الرب.
(٧) عنوان هذا المزمور في السبعينية هو "عندما بُنيَ البيت بعد السبي".

تُمتَحن بالتجارب إن أردتَ أن تقدّم الشكر بعد انتهائها، فلديك المزمور ١٣٨، وأيضًا عندما يضغط عليك الأعداء بشدّة وتريد أن تهرب فاتلُ المزمور ١٣٩.

أتريد أن تتوسل في الصلاة؟ رتل المزمورين ٥ و١٤٢. وعندما يقوم عليك وعلى الشعب عدو مستبد، كما فعل جليات مع داود، فلا تجزع بل آمن كما فعل داود واتلُ المزمور ١٤٣. وعندما تتأمل بإعجاب في جميع إحسانات الله مستعيدًا إلى ذاكرتك كل ما عمله معك ومع الجميع، وذلك لكي تسبحه من أجلها، فاتلُ كلام داود النبي نفسه في المزمور ١٤٤. أتريد أن تُنشد تسبيحًا للرب؟ لديك كلمات المزمورين ٩٢ و٩٧.

وإن كنتَ – رغم أنك صغير – قد انتُخبتَ لمركز في السلطة بين إخوتك، فلا تنتفخ بينهم، بل اعط المجد للرب الذي اختارك ورتل بكلام داود النبي في المزمور ١٥١([٢٧٥]). أما إذا أردتَ أن تُنشد المزامير المميّزة بأنها تسابيح الأللويا، فهي ارقام ١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ و١١١ و١١٢ و١١٣ و١١٤ و١١٥ و١١٦ و١١٧ و١١٨ و١٣٤ و١٣٥ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧ و١٤٨ و١٤٩ و١٥٠.

(٢٦) إن أردتَ أن تُنشد شيئًا يخص المخلِّص بالذات، فستجد إشارات إلى ذلك في كل مزمور على حدة تقريبًا، ففي المزمورين ٤٤ و١٠٩ تجد استعلانات خاصة بميلاده من الآب وظهوره في الجسد، وفي المزمورين ٢١ و٦٨ توجد تنبّؤات عن الصليب المقدس وعن مقدار معاناة الرب من المؤامرات التي حيكت ضدّه لأجلنا، كما يُشير المزموران ٢ و١٠٨ إلى مكائد اليهود وشرّهم وخيانة يهوذا الإسخريوطي. والمزامير ٢٠ و٤٩ و٧١ تكشف عن مُلكه (أو ملكوته) وقوة حكمه وظهوره الثاني في الجسد ودعوة الأمم. ويكشف المزمور ١٥ عن قيامته من الأموات، في حين أن المزمورين ٢٣ و٤٦ يعلنان عن صعوده إلى السماء. وعندما تقرأ المزامير ٩٢ و٩٥ و٩٧ و٩٨ يمكنك أن تتأمل في المنافع التي جلبها لنا المخلِّص بواسطة آلامه.

(٢٧) إذًا، فسفر المزامير بمثل هذه الصورة له صفة مميَّزة للمعونة التي يقدّمها للجنس البشري، فهو يحوي بعض المزامير التي لها نوعيات تميِّزها هي بصفة خاصة، وفي غيرها يمكننا أن نجد نبوات كثيرة عن ظهور ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح في الجسد كما قلتُ سابقًا.

(٨) دمجت الترجمة السبعينية هذا المزمور مع المزمور ١٥٠.

مُلحق ٨
الصلاة الدائمة، الاب تيتو كولياندر

الصلاة لا تتوقف بانتهاء فترة العبادة الصباحية. فالمهم فى الأمر هو مداومة الصلاة خلال اليوم كله بصرف النظر عن مشاكل اليوم وتعقيداته. فالأسقف ثيوفان ينصح الشخص المبتدئ أن يختار عبارة قصيرة من المزامير لكى يصلى بها، مثل: "*يارب أسرع وأعنى*"، "*قلبًا نقيًا اخلق فىَّ يا الله*"، أو "*مبارك هو اسمك يارب*"، أو غيرها من عبارات المزامير. فسفر المزامير يقدم لنا مجالاً واسعًا لنختار منه مثل هذه الصلوات القصيرة. وبعد ذلك فإنه بمرور الوقت أثناء النهار يمكن أن يحتفظ الإنسان بهذه الصلاة فى قلبه ويرددها كثيرًا إمًا عقليًا او بالهمس، ولكن من الأفضل، أن يكون ذلك بصوت مسموع بمجرد أن يصير الإنسان بمفرده بحيث لا يسمعه أحد. فسواء فى الأتوبيس، أو فى المصعد، أو أثناء العمل وتناول الطعام، بمجرد أن يجد الإنسان فرصة فإنه يتذكر هذه الصلاة ويداوم عليها مركزًا كل انتباهه على معانى كلماتها. وهكذا فإن اليوم سيمتلئ بالصلاة إلى أن يحين موعد صلاة النوم من كتاب الصلوات وذلك فى اللحظات الهادئة التى تسبق النوم.

هذا التمرين يناسب أيضًا أولئك الذين لا يملكون فرص العزلة الضرورية للصلوات المنتظمة مساءً وصباحًا، إذ يمكن ممارسة هذا التمرين فى أى مكان، وفى اى وقت حسبما يريد الإنسان، وفى حالات كهذه فإن العزلة الداخلية تعتبر بديلة للعزلة الخارجية التى لا يملكها ذلك الإنسان.

والتكرار الكثير مهم هنا: فالطائر يتمكن من التحليق فوق السحب بواسطة خفقات أجنحته المتوالية، كما أن السباح يجب أن يكرر ضرباته مرات عديدة قبل أن يصل إلى الشاطئ الذى يريده. ولكن إن توقف الطائر عن الطيران، فعليه أن يقنع بالسكن وسط ضباب الأرض ــ كما أن السباح تهدده الأعماق المظلمة لو أنه كف عن الضربات.

صلِّ بهذه الطريقة ساعة بعد ساعة، ويومًا بعد يوم، بدون ملل، بل صلِّ ببساطة، بدون هوى، وبلا تثاقل، وبغير أى تساؤلات: لا تقلق على الغد "*لا تهتموا بالغد*" (مت٦:٣٤) وحينما يحل الوقت المناسب، ستحصل على الجواب.

فقد خرج إبراهيم بلا تساؤلات فضولية: عن ما هو شكل الأرض، التى سترينى إياها؟ وماذا ينتظرنى هناك؟ بل ببساطة انطلق "*وذهب كما كلمه الله*" (تك١٢:٤). فافعل هكذا، وكما أخذ إبراهيم كل ممتلكاته معه ــ هكذا افعل كما فعل. خذ كل ما عندك، كل كيانك، لا تترك وراءك شيئًا يمكن أن يربط عواطفك بالأرض ذات الآلهة الكثيرة ــ الأرض التى تركتها.

لقد احتاج نوح إلى مائة سنة ليبنى فلكه، ساحبًا كتل الخشب فوق بعضها للبناء. افعل كما فعل، اسحب كتلة فوق كتلة لتكمل بناءك بصبر وسكون، يومًا فيومًا. ولا تسأل عما يحيط بك. أذكر أن نوح كان هو الوحيد فى العالم الذى "*سار مع الله*"

(تك٦:٩) فى زمانه، أى سار بالصلاة. تخيل الزحام، والظلام، والرائحة النتنة التى كان يعيش فيها قبل أن يخرج إلى الهواء النقى ويبنى مذبحًا للرب. والهواء النقى والمذبح سوف تجدها فى داخلك ــ كما يشرح القديس يوحنا ذهبى الفم ــ ولكنك ستجدهما فقط بعد أن تجتاز باختيارك الحر خلال نفس الباب الضيق مثل نوح.

وبهذه الطريقة افعل كل ما يأمرك به الرب (تك٦:٢٢)، وشيّد "*بكل صلاة وطلبة*" (أف٦:١٨) المعبر الذى سيعبر بك من ذاتك الجسدانية واهتماماتها المتضاربة، إلى انسجام الروح وكماله. وبمجيء الواحد الوحيد، إلى داخل قلبك، سيتلاشى التعدد كما يقول القديس باسيليوس الكبير. وتصير أيامك سليمة صحيحة، ومحفوظة بواسطة ذاك الذى يمسك العالم كله فى يده[٢٧٦].

[٢٧٦] طريق النساك، ص ٦٨: ٧٠

مُلحق ٩
الفرق بين الصلاة و اليوغا

في حوار للاب ايريثيئوس فلاخوس مطران نافاباكتوس طلب من أحد شيوخ الجبل المُقدس اثوس قائلاً: أتمنى أيها الشيخ أن تمدوني بمزيد من التفسير وتتوسعوا في شرح ما سألتكم عنه سابقاً، أعني ما الفرق بين الصلاة وطريقة اليوغا وأن تبيّنوا لي أفضيلة الصلاة وسموّها على الديانات الشرقية الأخرى، طالما لديكم بنوع أخصّ المزيد من الخبرة في هذا الموضوع.

– إنّ هذا الموضوع، يا بني، واسع جداً. ويمكن أن يُقال فيه الكثير. ومما قلتُه تظهر بعض النقاط.

أولاً: الصلاة تعبّر بشدة عن الإيمان بالله الذي خلق العالم ويحكمه ويحبه. فهو الأب الحنون المهتم بأن يخلّص خليقته. والخلاص يتمّ ((في الله)). لهذا نتوسل في الصلاة قائلين ((إرحمني)).
إنّ تخليص المرء نفسه بذاته، وتأليهه لذاته، هما أمران بعيدان عن المجاهد بالصلاة العقلية لأنهما كانا الخطيئة التي سقط فيها آدم. فقد أراد أن يصير إلهاً خارج الإطار الذي حدَّده الله له. والخلاص لا يتم ((بواسطة الذات ومن الذات)) وهو ما تقول به النظم البشرية وإنما يتمُّ في الله.

ثانياً: نحن لا نجاهد بالصلاة من أجل أن نقابل إلهاً غير شخصي، لأننا لا نبتغي الإرتفاع إلى العدم المطلق، وصلاتنا تتركز على إله شخصي هو يسوع الإله – الأنسان ولهذا نناديه بالصلاة ((يا ربي يسوع المسيح، إبن الله)). وتلتقي في المسيح الطبيعتان الإلهية ةالإنسانية، أعني الله الكلمة والإنسان بكامله (يسكن فيه كل ملء اللاهوت جسدياً). ولذلك يرتبط تعليم الرهبنة الأرثوذكسية عن الأنسان والخلاص بالتعليم عن المسيح برباط وثيق. نحن نحبّ المسيح ونحفظ وصاياه، ونعطي لهذا أهمية كبرى، ونصرّ على تنفيذ وصايا المسيح. وقد قال هو نفسه((إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي (يوحنا ١٤: ١٥) وبحبنا للمسيح وحفظنا وصاياه نتحد بالثالوث بكامله.

ثالثاً: بالصلاة العقلية المتواصلة لا نتردّى في حال الكبرياء، أما النظم التي ذكرتها لي سابقاً فتسودها الكبرياء، ولكننا نحصل بالصلاة على حال التواضع المغبوطة. وإذ نقول ((إرحمني)). نعتبرذاتنا أسوأ الناس أجمعين، ولا نحتقر أحداً من الإخوة. والمجاهد بالصلاة تنأى عنه كل أنواع الكبرياء. أما من عنده الكبرياء فهو أحمق.

رابعاً: ليس الخلاص فكرة مجردة– كما قلنا– وإنما هي إتحاد بالله، المثلّث الأقانيم، في شخص((ربنا يسوع المسيح)). لكنّ هذا الإتحاد لا يبطل العامل البشري. فنحن لا نفنى في الله ما دمنا نحن أيضاً..أشخاصاً)).

خامساً: إننا نحصل خلال مضيّنا في الصلاة على قدرة تَبَينُّ الضلال، فنرى ونميّز حركات الشيطان. ولكننا في الوقت عينه نميّز أفعال المسيح أيضاً، أعني أننا نعرف بوضوح روح

الضلال الذي كثيراً ما يتشكّل في صورة ملاك نور. وهكذا نميّز بين الصالح والشرير، وبين غير المخلوق والمخلوق.

سادساً: إنّ الجهاد من أجل((الصلاة)) مرتبط بتطهير النفس والجسد من تأثير الأهواء القتّال. لسنا نسعى إلى الوصول إلى التجرد من الإنفعال(الأباثيا) تقول به الفلسفة الرواقية، بل نبتغي البلوغ إلى(أباثيا) ديناميكية، أعني أننا لا نهدف إلى إماتة الإنفعال (Pathos(وإنما إلى تجلّيه(إعادة تشكيله) أو تهذيبه. فبدون الإنفعال اللا إنفعالي لا يمكن أن يحب أحد الله ولا أن يخلص. لكن بما أنّ هذه المحبة قد فسدتْ واعوجَّتْ، فإننا نسعى إلى التجلّي، نجاهد من أجل تحرير صورتنا من الحالات الشاذة المشوِّهة لها، والتي أحدثها الشيطان.
بدون هذا الجهاد الشخصي الذ١ي يتم بنعمة المسيح لا يمكننا أن نخلص. يقول القديس ماكسيموس المعترف((إنّ المعرفة غير المقرونة بالعمل لهي ثيولوجيا شياطين)).

سابعاً: لا نبتغي بالصلاة قيادة العقل إلى العدو المطلق، بل توجيهه إلى القلب ونقل نعمة الله إلى داخل النفس، وامتدادها إلى الجسد أيضاً.((إنّ ملكوت الله داخلكم)) والجسد حسب تعليم الكنيسة ليس شراً ولكنّ التفكير ذا النزعة الجسدية شر. والجسد ليس ((رداء النفس)) كما تسميه بعض النظم الفلسفية، لذلك يجب علينا أن نخلّصه لا أن نلغيه. كما أنّ الخلاص يعني خلاص الإنسان بكامله، نفساً وجسداً. ولذلك نحن لا نسعى من أجل تدمير الجسد، ولكننا نقاوم عبادة الجسد، ولا نريد هدم الحياة ولا نسعى إلى الوصول إلى عدم الرغبة في الحياة بحيث يتوقف الألم. ونمارس((الصلاة)) لأننا متعطشون إلى الحياة، ونريد أن نحيا مع الله إلى الأبد.

ثامناً: ليس لدينا عدم اكتراث بالعالم من حولنا. إنّ مختلف النظم التي ذكرتها تتجنب التفكير في مشاكل الناس ليحفظ أصحابها لأنفسهم السلام والتجرّد من الإنفعال. أما نحن فنعمل نقيض ذلك لأننا نصلي من أجل الجميع نتضرّع إلى الله من أجل العالم كلّه.
والخلاص بنوع أخصّ الإتحاد بالمسيح. لذلك نكون على صلة إجتماعية بأشخاص آخرين فنحن لا يمكن أن نخلص وحدنا، ولا يكون فرحنافرحاً حقيقياً إن انحصر فينا ولم يكن فرحاً للعالم أيضاً.

تاسعاً: نحن لا نعير الطرق النفسية أهمية كبرى ولا نكترث لأوضاع الجسم المختلفة، ونرى أنّ في بعض هذه الطرائق وسائل تساعدنا على تركز العقل في القلب، أي في بعض جوهره. ومن بعد استخدامنا لها لهذه الغاية نتركها فوراً. وأكّرر القول، إننا لانسعى إلى التجرُّد من الإنفعال بل إلى نيل النعمة الإلهية[٢٧٧].

[٢٧٧] عن كتاب أمسية في برية الجبل المُقدس أثوس، للاب ايروثيئوس فلاخوس، عربه عن اليونانيه أ/ جرمانوس لطفي

مُلحق ١٠
شرح مثل قاضي الظلم، للقديس يوحنا ذهبي الفم

السيد المسيح هو الذى يجذب الناس نحو الصلاة لتنتفع نفوسهم بها . ويسوق مثل القاضى الظالم والقاسى الذى طرح عنه كل خجل وطرد من نفسه مخافة الله. على الرغم من أنه كان يكفى أن يستخدم فى المثل شخص عادل ورحوم وعندما يقارن عدله مع محبة الله للإنسان ستظهر أهمية التضرع. لأنه إن كان إنسان صالح ووديع يقبل كل من يتضرع إليه من أجل أمر ما، فكيف يكون الله بمحبته المطلقة للإنسان وليس فقط المحبة التى تتجاوز فكرنا ولكن أيضًا التى تتجاوز الملائكة أنفسهم؟

كان يكفى كما قلت أن يستخدم فى المثل قاضيًا عادلاً ولكنه استخدم فى المثل قاضيًا قاسيًا شريرًا وغير محب للناس بل هو إنسان متوحش. ولكن الذين يترجونه يظنون أنه سيكون شجاعًا وكريمًا معهم ــ لكى تدرك أن كل توسل حتى ولو كان موجهًا إلى إنسان قاسٍ لا يعرف الرحمة، فمن السهل أن يشمله بالشفقة والرحمة.

إذن لماذا ضرب المسيح هذا المثل ؟ لكى لا يتجاهل أحد مدى فاعلية الصلاة . ولهذا ساق مثل الأرملة فى تضرعها إلى أكثر الناس قسوة . وحين أظهر هذا الظالم رحمة على عكس طبيعته ــ حوّل المسيح الحديث من موضوع القاضى الظالم إلى صلاح أبيه السماوى الوديع والشفوق ومحب البشر، الذى يغفر الخطايا الكثيرة، الذى يُجدف عليه فى كل يوم ويصبر، يحتمل إهانات لأسمه المبارك وتجديف على اسم ابنه، فبينما هو يجدف عليه يحتمل بكل وداعة، وإن رآنا نسجد أمامه برعدة فهو يرحمنا ويعفوا عنا سريعًا ؟

اسمعوا ما يقول قاضى الظلم " إن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنسانًا فإنى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى أنصفها، لئلا تأتى دائمًا فتقمعنى " (لو١٨: ٤ــ٥) فماذا نقول ؟!

إن الأرملة بتضرعها حملت هذا القاضى على العدل، لقد ترفق بها هذا الوحش القاسى. إذن فماذا نستنتج من جهة الله محب البشر إن كان غير الرحوم قد أثرت فيه الأرملة بتوسلها إليه. فكم من العطايا وكم من محبة البشر سوف يظهرها الله لنا. إنه الوحيد الذى يريد أن يرحم على الدوام وألاّ يعاقب أبدًا . ومن أين تأتى العقوبات أمام كل هذه المحبة التى أظهرها تجاهنا نحن الذين أعد لنا كرامات كثيرة . بالمخافة التى تعوقنا عن فعل الشر وعلى رجاء التكريم الذى يجعلنا نحيا الفضيلة، لا أستطيع أن لا أفكر فى قاضى الظلم، وأرى فيه وداعة على عكس طبيعته ــ لأنه وإن كان لم يُرد أن يظهر فى وقت ما من حياته شيئًا حسنًا ــ، نجده فجأة يغير اتجاهه ويرحم المرأة التى توسلت إليه. ألاّ تضمن لنا الصلاة عناية خاصة من الله؟

يستطيع الإنسان أن يعرف مقدار القوة والفاعلية التى تتحقق بالصلوات المقدسة، عندما ينظر ويلاحظ مقدار الخيرات التى يتمتع بها كل يوم، بل كل ساعة أولئك الذين ألقوا بأنفسهم

أمام الله. من يجهل نور الشمس والنجوم والقمر والأهوية الحسنة وغذاء الفكر والغنى والحياة وأمور كثيرة التى يمنحها الله للأبرار والأشرار بسبب محبته الكبيرة لنا [٢٧٨]؟!

[٢٧٨] الصلاة، للقديس يوحنا ذهبي الفم، ترجمة د/ سعيد حكيم، إصدار المركز الارثوذكسي للدراسات الابائيه، ص ١١ ، ١٢

المـــــــــــراجع

- شرح الانجيل للقديس متي بحسب الاصول الكتابيه و الابائيه، عظات للمهندس/ فؤاد فريد
- العبادة الارثوذكسية و الصلاة الدائمه، الاب كاليستوس وير، ترجمة د/ نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الارثوذكسي للدراسات الابائيه
- القديس إفراهاط مع مقدمة مُبسطه عن الادب السرياني، للاب تادرس يعقوب مالطي
- الصلاة، للقديس يوحنا ذهبي الفم، ترجمة د/ سعيد حكيم يعقوب، إصدار المركز الارثوذكسي للدراسات الابائيه
- الصلاة في مزامير داود، للقديس يوحنا ذهبي الفم، إصدار دار مجلة مرقس
- ترتيل المزامير في النظام الرهباني، ترجمة الاب سيرافيم البراموسي
- نحو الصلاة، للاب سيرافيم البراموسي
- عن فرح الصلاة و الكتاب المقدس، ترجمة و إصدار ابناء البابا كيرلس
- سلسلة سير و اقوال الاباء من مخطوطات دير البراموس، اعداد الراهب اغسطينوس البراموسي
- لماذا نُصلي، إصدار معهد التربيه الدينيه، مجلس البطاركه و الاساقفه الكاثوليك بمصر
- تفسير الكتاب المُقدس عند الاباء، د/ جورج عوض إبراهيم
- الروح القدس، للقديس باسيليوس الكبير، ترجمة د/ جورج حبيب، مراجعة نيافة الانبا يؤانس اسقف الغربيه المُتنيح
- تجسد الكلمه، للقديس اثناسيوس الرسولي، ترجمة د/ جوزيف موريس فلتس
- تفسير الرساله إلي اهل روميه، للقديس يوحنا ذهبي الفم، ترجمة د/ سعيد حكيم
- الصلاة الربانيه للمستعدين للعماد، للقديس اغسطينوس، ترجمة الاب تادرس يعقوب مالطي
- دورية مركز دراسات الاباء، السنة الرابعه العدد الثامن يوليو ٢٠٠١، مقال: الصلاة و البنوه عند القديس كيرلس السكندري، للدكتور نصحي عبد الشهيد
- ميامر مارإسحق السرياني، عدة اجزاء، إصدار دير القديس العظيم انبا مقار ببرية شيهيت
- تفسير انجيل القديس لوقا، للقديس كيرلس السكندري
- رسالة القديس اثناسيوس إلي مارسلينوس عن سفر المزامير
- طريق النُساك، للاب تيتو كولياندر، ترجمة د/ نصحي عبد الشهيد، إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازه
- الروحانيه الارثوذكسيه، د/ نصحي عبد الشهيد، إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازه
- مقالات القيس كبريانوس اسقف قرطاجنه الشهيد، ترجمة الاب مرقريوس الانبا بيشوي
- كتابات من الفيلوكاليا، الجزء الاول، صلاة القلب، ترجمة المرحوم أ/ ميخائيل توفيق، مراجعة وتقديم نيافة الانبا غريغوريوس اسقف الدراسات اللاهوتيه العليا و الثقافة و البحث العلمي.
- المحاربات الروحيه، للقديس ثيؤفان الناسك، الكتاب الثالث، إصدار كنيسة مارجرجس بإسبورتينج
- الحرارة الروحية، عظات للأسقف ثيؤفان الحبيس، ترجمة الانبا سارافيم اسقف الاسماعيليه
- حياة السهر و الإستعداد، الاب هرمينا البراموسي
- الصلاة الفرديه، مقال للاب ليف جيليه
- أمسية في برية الجبل المُقدس أثوس، للاب ايروثيئوس فلاخوس، عربه عن اليونانيه أ/ جرمانوس لطفي
- مجموعة الميامر الروحية، للشيخ الروحاني يوحنا الدلياتي، نقلها عن السريانيه الاب سليم دكاش اليسوعي
- لماذا و كيف نُصلي، جواب الديانات الكُبري، عادل تيودور خوري و بيتر هونرمان، نقله عن الالمانيه الاب كيرلس سليم بسترس رئيس اساقفة نيوتن و الولايات المُتحده الامريكيه
- رسائل القديس انطونيوس، ترجمة و إصدار المركز الارثوذكسي للدراسات الابائيه
- عظات القديس مقاريوس الكبير، ترجمة د/ نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الارثوذكسي للدراسات الابائيه
- عظات العلامة اوريجينوس علي سفر العدد، إصدار المركز الارثوذكسي للدراسات الابائيه
- الحب الإلهي، للاب تادرس يعقوب مالطي، إصدار كنيسة مارجرجس اسبورتينج
- سفر المزامير، مُقدمة دراسية كتابية ابائية طقسية تاريخية، للقس شنودة ماهر إسحق
- تفسير عظة ربنا يسوع المسيح علي الجبل، للقديس يوحنا ذهبي الفم، ترجمة د/ جرجس كامل يوسف، مراجعة وتقديم القمص تادرس يعقوب مالطي
- القديس كيرلس الاورشليمي، حياته، مقالاته لطالبي العماد، الاسرار، للاب تادرس يعقوب مالطي
- الطب النفسي الارثوذكسي، للاب اريثيئوس فلاخوس، ترجمة د/ نيفين سعد، إصدار كنيسة مارجرجس إسبورتينج
- الروح القدس رؤية كتابية و أبائية، الاب هرمينا البراموسي
- الايمان بالثالوث الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة، ت.ف.تورانس ، ترجمة د/ عماد موريس إصدار دار بناريون